



البعث للهدى

بروي

شعارنا الوحيد



إلى الإسلام من جديد



تصدر : في ندوة العلماء لکھنؤ (الهند)

العدد الثاني

المجلد

التاسع عشر

تعداد

۱۱۳۹۱

شماره

۱۱۳۹۱

Phone 22948

Regd. No. L. 1692

ALBAAS - EL - ISLAMI

NADWATUL ULAMA, LUCKNOW (India)

صدر حديثاً :

رسالة التوحيد

للعامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى الشهيد
نقل الكتاب إلى العربية وعلق عليه الأستاذ أبو الحسن علي الحسينى الندوى
كتاب أصبح شعاراً وعلماً للدعوة إلى التوحيد ، و بيان الحق الصريح ،
وقد تقع الله به خلائق في شبه القارة الهندية لا يحصيهم إلا من أحصى
رمل عاج ، و حصى البطحاء ، يبلغ عددهم إلى ملايين .
صدر الكتاب عن قلب جريح متقطع ، بمشاهدة ما كان عليه
المسلمون في ذلك اليوم ، من بعد عن التعاليم الاسلامية و خضوع للوثنية
الهندية ، و تمسك بالعادات الجاهلية ، و قد زاد في تأثيره و قبوله دموع
عين باكية على الاسلام ، و دم زكى أريق في سبيل إحياء الدين ، و تأسيس
حكومة شرعية ، و قد قرن رحمه الله الدعاء بالدعوة و الجهد بالجهاد ،
و الشهادة للحق بالشهادة في الحق ، و ذلك لباب التوحيد .
و سر قوة الكتاب في صراحته و تشخيصه للأدواء و مظاهر
الشرك ، و مواضع الانزلاق ، و يضرب على الوتر الحساس .

ثمن الكتاب
• رويات

يطلب من مكتبة ندوة العلماء لکھنؤ
و المكتبة الجبوية سهارنפור الهند

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

البعث الإسلامي

★ العدد الثاني
★ المجلد التاسع عشر

■ سبتمبر ١٩٧٤ م
■ شعبان ١٣٩٤ هـ

رئيس التحرير: محمد الحسيني
مدير التحرير: سعيد الأعظمي

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذي لا يتغير وبين العلم النامي الذي لا يتحجر بين صلابة الحديد في الثبات على العقيدة ، و بين نعومة الحرير في اقتباس العلوم النافعة ، فينال العالم الديني في عقيدته وعبادته جبل ثابت ، إذا هو في علمه ودراسته و تقدمه نهر عذب جار ، وبينها هو في نصوص الدين وعزائم مرابط على الثغر وحارس للأمانة ، إذا هو في تفهيمه ودعوته جندى مهاجم ومسلح على أحدث طراز ، وبينها هو في الأول لا يعرف الهادة إذا هو في الثاني لا يعرف الجود

أخي المسلم

أخي في العقيدة و الدين لا في التراب و الطين ،
أخي على درب الايمان و الجهاد ، و طريق الشوك
و القتاد ، أخي في النضال و الكفاح و التضحية
و الفداء ، أخي في الحق و الصبر في الوطن
و المهجر ، أخي في مهبط الوحي و منبع الصبح
الصادق في ليل الانسانية الغاسق ، أخي في زهرة
الصحراء و درة الخليج بين الرياح العاتية و الأمواج
الثائرة ، أخي في اليأس و الرجاء و الشدة و الرخاء ،
أخي في الله ! نقدم إليك هذه المجلة سلاحاً لك
في وجه الباطل ، زاداً لك في طريق الايمان ،
عوناً لك على نوائب الحق ، نصيراً لك في صراع
النور و الظلام و معركة الجاهلية و الاسلام ،
فليكن دورك فيها دور مرابط على الثغر حارس
للأمانة أكثر من دور مشترك رسمي في مجلة ،
أوزون في محل تجارة . . .

الاشتراكات

المراسلات

الوكالات

في الهند و باكستان : عشرون روبية - ثمن النسخة رويستان
في العالم العربي : جنيهان (استرليني) (بالبريد العادي)
، ، أربعة جنيهات (استرليني) (بالبريد الجوي)
في افريقيا الجنوبية و الشمالية : خمسة جنيهات (استرليني) (بالبريد الجوي)

العنوان البعث الاسلامي ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

الهاتف : ٢٩١٧٤ - ٢٢٩٤٨

برقياً NADWA, Lucknow

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » ، دار العلوم
كراچی رقم ١٤ باكستان

مكتبة المنار الكويت

● مكتبة الآداب الرياض السعودية

● مكتبة الثقافة مكة المكرمة

● مكتبة الثقافة الدوحة قطر

● شريف أحمد حافظ الجامعة الاسلامية المدينة المنورة

● الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري الرياض المملكة العربية السعودية

● مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)

● مكتبة النهضة - بريدة - القصيم - المملكة العربية السعودية

● مكتبة الفلاح الاحساء المملكة العربية السعودية

● مكتبة الايمان خميس مشيط المملكة العربية السعودية

في هذا العدد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الغرب المتكبر و الشرق المتنكر



في مجتمعنا الحاضر موجات متلاحمة تتركب بعضها بعضاً ، وتيارات متزاحمة تأكل بعضها بعضاً ، وأناس شاغبون ، متباغضون ، متنافرون ، يموج بعضهم في بعض ، و لذلك نرى الأوضاع - رغم كل الضمانات والصيانات والوقايات التي أنتجتها الحياة الصناعية الراقية - تتدهور كل يوم من سيئ إلى أسوأ ، لماذا؟ لأن هذه الوقاية أو هذه الصيانة سطحية لا تمس إلا القشور ، ولا تبلغ إلى الجذور ، إنما لا تتناول إلا أموراً سطحية ظاهرة ، لا تمت إلى صميم الحياة ، و نفسية المشكلة ، وجذور القضية بصلة ، إنما هي تعنى بالمظهر الكاذب للانسانية ، أنث فاخر ، وقلب فاجر ، جسم فارغ ، و روح شاحبة ، هندام جميل وأعصاب متوترة ، قوة هائلة كالعفاريات ، وعقلية صغيرة ضيقة كالعصافير، هذا المظهر الكاذب استهلك طاقات الانسانية كلها ، منذ زمن طويل ، خاصة بعد النهضة الأوربية الحديثة ، و قد جاء وصف القرآن لهذا الوضع المظلم وتصويره المعجز البليغ لانهطاط الانسانية و شيوع الفساد جامعاً بين تعيين الداء وتحديد الدواء والحث على الرجوع إلى الله و استثارة نوازع الخير في الانسان ، ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس ليسذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (١) .

• قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (٢) .

(١) سورة الروم الآية ٤١ . (٢) سورة الكهف الآية ١٠٥ .

٣	محمد الحسني	الغرب المتكبر و الشرق المتنكر
		★ التوجيه الاسلامي
١٠	فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع	من -ورة البقرة
٢٠	الدكتور أمرار أحمد	ماذا يجب على المسلمين تجاه القرآن
٢٧	الدكتور نجاة الله الصديقي	نحو انبعاث الفكر الاسلامي وازدهار الحضارة ...
		★ الدعوة الاسلامية
٣٢	الاستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	نظرة محمد إقبال إلى العلوم والآداب
٣٦	فضيلة الشيخ محمد المجذوب	إلى الأرقام الذين يطحنون بقرورتهم جبل الاسلام
		★ دراسات و أبحاث
٤٤	الاستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	الرد على الملل و الفرق غير الاسلامية
		★ الفقه الاسلامي
٥٧	الاستاذ السيد أحمد القادري	قضية الطائعات الثلاث وما يواكبها من المشكلات
		★ في رياض الشعر و الأدب
٦٨	الاستاذ محمد واضح رشيد الندوي	إقبال شاعر الفلسفة الانسانية
		★ العالم الاسلامي
٧٤	سعيد الأعظمي الندوي	إلى ربك يا سماحة المفتي أمين الحسيني
٨٠	قلم التحرير	كفناكم عبثاً يا هؤلاء.
٨١	الاستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	رحمة الله عليك يا أبا صلاح .. يا مجاهد فلسطين
٨٤	قلم التحرير	سعادة الشيخ أنس يوسف ياسين في ذمة الله
٨٥	التحرير ،	خطر القاديانة على العالم الاسلامي

« وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير (١) ،
 فهل في دراساتنا الاحصائية ، وعلومنا الوقائية ، وبحوثنا الفكرية والاجتماعية
 العميقة الطويلة في عالمنا الاسلامي . كان ما - و لو في زاوية صغيرة بعيدة -
 لما كشف عنه كتاب الله وأقره كسبب رئيسي لهذا الفساد الذي ظهر في البر والبحر ؟
 هل في جامعاتنا العصرية كرسى خاص للبحث في مثل هذه الامور الجوية
 الدقيقة الخطيرة الامور التي يتوقف عليها مستقبل الانسانية ومصير الحضارة ؟
 هل في عمالة الفكر و الفلسفة و الاجتماع في الغرب و الشرق من يهتم
 بهذه القضية ، قضية النوع البشري كله و الأسرة الانسانية كلها ؟
 هل هنا بين هذه المكتبات العالمية العامرة ، والسيل العرم من المطبوعات ،
 وفي هذا المحيط الهادر من الثقافات ، والآداب ، والعلوم والفنون ، والمذاهب
 والفلسفات ، ناحية لدراسة هذا « العلم النبوي العظيم » الذي ترتبط به سعادة
 الدنيا والآخرة ؟

كلا ! و ما هو إلا الاستكبار والصلف والتبجح والحقد الدفين في صدور
 الصليبيين الذي يمنعهم من قبول الحق المبين ؟

إن هذا العلم ، علم النبوة و الوحي و الرسالة الخالدة ، العلم الذي أوتي
 موسى و عيسى و محمد صلوات الله عليهم أجمعين - يتحدى جميع العلوم وجميع
 الحضارات ، و الثقافات و المذاهب و الفلسفات ، و الدول و الحكومات ،
 و يقول بلهجة جازمة و أسلوب قاطع و بيان صارم ، إن هذه العلوم لا قيمة
 لها بتاتاً ، بل هي تعود وبالاً وأغلالاً في عنق أهلها إذا قطعت صلتها بالنبوة ،
 و ازدورتها ، و نظرت إليها بعين الاحتقار والاستخفاف والاستهزاء ، كما عبر
 عنه القرآن على لسان قدماء المشركين ، « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا
 بادي الرأي ، و ما لنا عليكم من فضل بل نظنكم كاذبين (٢) » ، و يقول :

(١) سورة الشورى الآية ٣٠

(٢) سورة هود الآية ٢٧

« أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين (١) ،
 إن هذا العلم هو علم القلب الذي يتوقف عليه كيان الانسان ، كما عبر عنه
 لسان النبوة قائلاً :

« ألا ! إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت
 فسد الجسد كله ، ألا ! و هي القلب ،

إن هذا العلم هو علم الساعة ، ولا يمكن لأى إنسان أن يجتاز نهر الحياة
 الفائض ، و يعبر أمواجه الهائجة المائجة و يقاوم العواصف الهوجاء العاتية ،
 ويحفظ نفسه من تماسيح هذا النهر العميق الكبير وحيواناته و ثعابينه و علقه ،
 من غير أن يتعلم هذا العلم و يعرف فن السباحة .

و أروى لكم في هذا المجال قصة طريفة تلقى الضوء على هذا الأمر ،
 و تقرب فهمه إلى العقول و الأذهان .

ركب ليف من الشباب الجامعيين - وكانوا في عطشهم الصيفية - سفينة ،
 و كان النهر فائضاً ، و المنظر جميلاً ، و قالوا للملاح الفقير أن يذهب بهم إلى
 الشاطئ الآخر حيث يتمتعون بالماء و الخضرة و الهواء البارد بعض الوقت ،
 ففعل ، و طاب لهم الجو و آنسوا المنظر فبداهم أن يحاوروا الملاح ، و يتندروا
 به ، فسأله واحد منهم و كان طالب هندسة ، هل تعلمت الهندسة يا ملاح ؟
 فتحير ولم يجد جواباً ، فسأله لا بد أنك تعرف الحساب طبعاً ، و أنكز خجولا ،
 و سأله ثالث عن الكيمياء ، و رابع عن الفلسفة ، و خامس عن الجغرافية ،
 و هو يقول إنه لا يعرف ما هذا الشيء ، ولم يسمع عنه في حياته ، فضحكوا
 منه و قالوا له ، إذا إنك أغرقت شطر حياتك ، و ما ابشوا دقائق حتى اشتد
 الفيضان ، و بدأ الزورق الصغير يتمايل يميناً و شمالاً ، و شعر الملاح بالخطر ،
 فسألهم هل تعرفون السباحة يا أبنائي ، فكسوا رؤسهم و قالوا : لا ! و علم

(١) سورة الأنعام الآية ٥٣

الملاح - وكان ذكياً - أنهم مقبلون على الغرق ، فقال : إذا إنكم أغرقتم حياتكم كلها !
 إن هذه القصة قصة من صميم الحياة ، إنها قصة الغرب المتكبر و الشرق المتكبر ، إن مصير الغرب - إن استغنى عن نور النبوة - هلاك محتوم ، و إن هذه الوسائل الجبارة والمخترعات العجيبة المدهشة ، والحضارة المزخرفة المنمقة ، و حرية الكلاب و الخنازير لا تغني من عذاب الله شيئاً ، ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، لعلمهم يرجعون .

ماذا ؟

لأن هذه العلوم أو هذه الحضارة لا تمس - كما قلت في مطلع الحديث - غير القشور وغير الظواهر ، إن الغربي لا يعرف أن ما فقدته في القلب ، لا يجده إلا في القلب ، إنه فقد لوعة الحب ، و لذة الروح ، و صفاء الضمير ، إنه فقد حنان الأم ، و عطف الأب ، و حب الأخ ، و رحمة الزوج ، و مودة الصديق ، و أراد أن يستبدلها بمساكن مخصصة للعجائز الذين لا يتحملهم الأبناء ، و صالونات ترفيه للشيوخ الذين قضوا و طرهم من الحياة ، و مستشفيات للجائنين الذين سُموا صخب الحياة و ضراوتها و قساوتها ، و روضات للأطفال أصبحت كالزنانات ، أو كمبونات شعبية (Communes) في البلاد الاشتراكية أصبح فيها الانسان حيواناً أو جماداً أو نباتاً ، يخاف على نفسه - من هول الاضطهاد و الحكم الرهيب - أن يحول بعثرة لسان أو سوء بيان إلى قطعة من الصابون أو علبه من المسحوق . . . هذه الحياة الرهيبة أو الحياة الرتيبة ، ليست إلا عذاباً من الله في الدنيا قبل العذاب في الآخرة .

والقرآن بشر الكفار بالعذاب في عدة مواضع كما بشر المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة . لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة (١) .

« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون (١) ، و قال :
 « إن الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا
 و لا تحزنوا و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا
 و في الآخرة (٢) . »

إن فلاسفة الغرب لم يفهموا بعد معنى الحضارة و المدنية ، و لم يعرفوا
 الصلة بين المادة و الروح ، و العقل و القلب ، و الآلة و الضمير ، و الغاية
 و الوسيلة . . . و لذلك نراهم يرتكبون في أفكارهم و كتاباتهم أخطاء صيدانية
 لا تصور من صاحب عقل و رشد و تمييز ، و نرى كبار عقلائهم و نوابغهم
 لا يعرفون الفرق بين الحقيقة و شبحها ، و الحقيقة و ظالها ، جهلوا أبسط المبادئ
 التي تتصل بالخلق و الخالق ، و غاية الحياة ، و توغلوا في أعماق العلوم التي
 لاخلاق لها في الدنيا و الآخرة و ذلك معنى قوله تبارك و تعالى :

« قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
 و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (٣) ، »

« بل ادرك عليهم في الآخرة ، بل هم في شك منها ، بل هم عنها عمون (٤) ، »

ذلك مبلغهم من العلم .

وكما أن علوم هؤلاء الشباب الجامعيين الذين ركبوا السفينة ، لم تنقذهم من
 الغرق ، كذلك هذه العلوم التي فاضت بها المكتبات الغربية ، و الجامعات
 الغربية لا تستطيع أن تنقذ الغربيين من الغرق لأنهم لم يتعلموا فن السباحة ، و فن
 الحياة ، و فن الخلود ، و اطمأنوا إلى الحياة الدنيا و رضوا بها ، و زين لهم
 الشيطان أعمالهم ، فترى بعضهم يقضى عمره في التلذذ ، و بعضهم في التصوير ،
 و هذا ينفق الملايين على كلبه المدلل ، و هذا يقضى عمره كله في معرفة أسرار
 فن الطهي و رموزه ، و هذا يقضى عمره في رسم الأزياء و التقاليع ، و لاسبب

(١) سورة يونس الآية ٦٢ . (٢) سورة حم السجدة الآية ٣٠ - ٣١ .

(٣) سورة الكهف الآية ١٠٥ . (٤) سورة النمل الآية ٦٢ .

له إلا البعد عن الهدف ، والجهل عن الحق ، والعلو والاستكبار ، والاخلاد إلى الأرض ، و اتباع الشهوة ، و ابتغاء الشهرة ، و الرضا بالحياة الدنيا عن الآخرة و عبادة النفس و الشيطان عن عبادة الله .

« نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون (١) »

هذا في الغرب . . . فما هو الأمر في الشرق ؟

تقليد في غير ذكاء و محاكاة في غباء ، و الاكتفاء بالجوانب التي تجلب المتعة و اللذة عن الجواب التي تصل بتنظيم الحياة و تصميمها ، و الرغبة في الارتجالية و التهور بدلا من الروية و التفكير و الصبر .

و الجرى وراء المتعة الرخيصة ، و اللذة المكشوفة كالكلاب اللاهثة ، و الفرار عن الجد و الاجتهاد كما يفعله الغربي ، ثم يرفه عن نفسه منطلقاً عن جميع الحدود و القيود في آخر أيام الأسبوع .

سبحان الله ! لقد أخذنا من الغرب عاهاته و آفاته ، و تركنا خيراته و حسناته ، و ذلك جزاء كل من يتنكر لدين رب العالمين ، و يكفر بالنعمة و يمجّد بالفضل و المنّة ، و تشعب به المسالك عن الصراط المستقيم ، فيتخبط من غير هدى ، و يتسكع في ضلال و عمى .

لقد تاه الغرب بحكم ظروفه و بيئته و أخطائه ، وها هو ذا يجنى ثماره المريرة ، و لا يجد حيلة و لا يهتدى سبيلا ، إنه يحصد الآن ما زرع ، و يشكو مما صنع ، فالنا نجرى وراءه كقطعان ضالة من الغنم ، لا رأس لها و لا رائد ، و لا راعي لها و لا حارس ، و مالنا لا نأخذ منه إلا ما يوافق الهوى و الجنس و اللذة و الشرود و الشذوذ ، أما ما يتعلق بتفتيق القرائح ، و إذكاء المواهب ، و الترويض على حياة الجد و الاجتهاد ، و عناء البحث العلمي فلا نصيب لنا منه إلا قليلا .

[البقية على ص ٧٨]

التوجيه الإسلامي

★ في رحاب القرآن الكريم : من سورة البقرة

★ ماذا يجب على المسلمين تجاه القرآن

★ نحو انبعاث الفكر الاسلامي و ازدهار الحضارة الاسلامية من جديد

هذه النظريات و أنه لا بد من تسجيل ما يلوح ، و عرضه على هذا الجيل و الأجيال القادمة رغم على مسبقاً بأن (زامر الحى لا يهرب) و إن تغير المعتقدات ليس بالأمر اليسير .

الأرض و المجموعة :

ولنعرض بعض ما ظهر لنا من الآية ٢٩ من سورة البقرة و هو : لعل خلق الأرض هو البدء و النواة لمجموعتها من شمس وأجرام أخرى ، ثم لعل هذه المجموعة بدورها هي الأصل و المنطلق للكون كله ، و لعل ذلك مما تشتمل عليه الآية ٢٩ من سورة البقرة المتقدمة ، ثم لعل المادة التي تكونت منها السماوات و الأجرام الأخرى هي دخان انبعث في الأصل من كتلة الأرض الملتهبة قبل تغليفها بالقشرة الترابية ، و لعل المولى سبحانه فصل ذلك في سورة فصلت من الآية ٩ إلى الآية ١٢ حيث يقول سبحانه : « قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين و يجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، و جعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها و قدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للأرض اتبعا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات في يومين و أوحى في كل سماة أمرها و زيننا السماء الدنيا بمصابيح و حفظاً ذلك تقدير العزيز العليم . »

إنه يظهر من هذه الآيات أن الأرض خلقت في يومين ثم جعل الله الرواسي من فوقها و قدر فيها أقواتها في يومين آخرين ، فتكون الأيام أربعة : « سواء للسائلين ، و قد يسأل البعض هل مدة خلق الكون و تكوينه في ستة أيام كما هو معروف ، أم ثمانية - كما يبدو ذلك لأول وهلة - فكان رد الله جلت عظمته في كلمتين اثنتين : « سواء للسائلين ، أى أن خلق الأرض ورواسيها

من سورة البقرة

فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع

« هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات و هو بكل شئ عليم ، (الآية ٢٩ من سورة البقرة)
جل الخلاق العليم :

إذا كان قد سبق في عدد قبل هذا - بيان بدء خلق الانسان و تطورات حياته و موته ثم بعثه و ذلك مما يظهر من الآية ٢٨ من سورة البقرة - فالذي يبدو من الآية ٢٩ من نفس السورة بيان للخلق كله في الأرض و السماء ، و كما أن عظمة الله تنجلي باطراد في المخلوقات كلها كبرت - فانها تتجلى كذلك باطراد في دقائق المخلوقات كلها صغرت ، و قد ذكرت قبل ذلك أن جسم الانسان ملكوت كامل و استشهدت على ذلك بما جاء في مستهل سورة الملك وكذلك في الآيات ٢٠ و ٢١ و ٢٢ من سورة الذاريات و جاء في الآية ٥١ من سورة الكهف : « ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض و لا خلق أنفسهم و ما كنت متخذ المضلين عضداً . »

وإذا كان فيما سأكتبه شئ جديد على القارىء مغاير لما هو مألوف من النظريات العلمية فإن من المعلوم فطرة و بداهة و بدهة ، أن آيات القرآن لا تخضع للنظريات القابلة للتغير لأنها منزلة بعلم بديع السماوات و الأرض خالق كل شئ و هو بكل شئ عليم ، بل أرجو أن يكون فيها تصحيح لبعض

وتقدير أوقاتها قد استغرق أربعة أيام من أصل الستة ، ويومين للروابي و الأوقات و البركات ثم أتم سبحانه خلق السماوات و أوحى في كل سماء أمرها في اليومين الباقيين من الستة ، وهو دليل واضح على أهمية الأرض و عظم شأنها رغم صغرها بالنسبة للسكون كله شأن النواة من الذرة .

الشمس و القمر مثلاً :

و إذا كانت تقدير الأوقات قد تم بنص كتاب الله العزيز في يومين آخرين بعد خلق الأرض و تكوينها فإنه لا بد لهذه الأوقات من شمس و قمر و يظهر من ذلك أن الشمس و القمر قد قدرا بعد الأرض و لمصاحبتها ، و في هذا ما يدل على مكانة المجموعة التابعة للأرض و المسخرة لها و الضرورية لحياتها و حياة من و ما عليها .

حرس السماء :

و قد زين سبحانه السماء بمصابيح تنير الفضاء ، و تحميها من كل عاد عليها و لعل في هذه المصابيح ما يمثل القوى الدفاعية في الكون كله ، قال جلت عظمته : « إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب . و حفصاً من كل شيطان وارد لا يسمعون إلى الملائة الأعلى و يقذفون من كل جانب . دحوراً ولهم عذاب و اصب . إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ، الآيات من ٦ إلى ١٠ من سورة الصافات ، وللمثل فإن هناك تشابهاً بين حرس السماء و حرس الإنسان كما سيأتي :

تشابه القوى الدفاعية بين الإنسان و السماء :

ولعل في مصابيح السماء ما يمثل السكريات البيضاء في جسم الإنسان دون

أن تخفي المماثلة من الناحية العلمية شكلاً و عملاً ، فالسكريات البيضاء في جسم الإنسان من شأنها أن تحميها و تذب عنه شر الميكروبات الوافدة ، وكذلك تقوم المصابيح في السماء بمهمة الدفاع عنها إزاء المردة و الشياطين التي تحاول استراق ما يدور في الملائة الأعلى ، وقد جاء في مستهل سورة الطارق : « و السماء و الطارق . و ما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب . إن كل نفس لما عليها حافظ . و قد تقدم مثل ذلك عند الاستشهاد بما جاء في مستهل سورة الملك . إذ لا بد لكل كائن من حمى يحميه و قوى تدافع عنه و تحافظ عليه و تصونه من القوى المطاردة ، سنة الله في خلقه . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، و لقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوماً للشياطين . »

أهمية الأرض و ارتباطها بالسماء :

و لا يخفى ما في كتاب الله من الربط بين السماء و الأرض و للمثل ، ما ذكرته الآية ١٠٥ من سورة يوسف : (و كآين من آية في السماوات و الأرض يبرون عليها و هم عنها معرضون) و ما ذكرته الآية ١٠٥ من سورة الزمر : (خلق السماوات و الأرض بالحق) و ما في الآية ٨٥ من سورة الزخرف : (و تبارك الذي له ملك السماوات و الأرض و ما بينهما) و ما جاء في مستهل سورة الجاثية : (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . إن في السماوات و الأرض لآيات للؤمنين) و من الأدلة الملبوسة في هذا الربط أن جميع العناصر الموجودة في الفضاء من عناصر هذه الأرض كما أثبتت ذلك قواعد العلوم الراجحة . و في كتاب الله كثير من الآيات التي تربط بين فناء الأرض و فناء السماء أيضاً ، وإن القضاء على الأرض إيدان بالقضاء على السماء و حلول يوم الحساب و الجزاء ، سيما ما احتوته قصار السور من

الجزء الثلاثين . كما جاء في سورة الزلزلة قال سبحانه : (بسم الله الرحمن الرحيم
إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الانسان
مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتاً
ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة
شراً يره) .

وكما جاء في سورة النبأ والتكوير والانفطار والانشقاق والبروج
والطارق ، وغيرها في كتاب الله كثير . وفي هذه الآيات ما يثبت أن الأرض
ليست كبقية الأجرام الأخرى .

التحرز من التكلف :

غير خاف أن فيما تقدم رداً على الذين يحاولون إخضاع القرآن للنظريات
- في تكلف يتورع عنه السلف الصالح - فيقولون بأن القرآن يؤيد النظرة القائلة
بأن الشمس هي أصل المجموعة وأن الأرض انفصلت عنها ثم يستدلون بقوله
سبحانه : (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ، ففتقناهما
وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون) الآية ٣٠ من سورة الأنبياء)
على أن الذي يظهر أن في هذه الآية ما يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الدخان الذي
كان موجوداً في الفضاء قبل خلق السماء منبعث من نار الأرض فتكونت منه
السماء ، وأنه مهبط بعد و انتشر في الفضاء فهو جزء من الأرض وأثر لها
ومرتبط بها ، وإذا كان الدخان الذي خلقت منه السماء منبعثاً من هذه الأرض
فقد كان مرتقياً بها بداهة ثم فصله الله عنها بحكم ما علق بكثافة الأرض المشتعلة
من القشرة الترابية التي صارت في مكان العازل لها ، ولعله بهذا يكون قد أنم
الله الفتق بين الأصل وهي الأرض و باقي الكون ، ومن الأدلة على ذلك

أيضاً أن الشمس ليست إلا كتلة مسخرة لخدمة الأرض وأنه لاغنى للأرض
عنها دون أن تستفيد الشمس من هذه الصلة بشئ ، فأصبح غلاف الأرض
الترابي مهاداً لاستقبال الماء لحياتها و لحياة من و ما عليها من كل كائن حي ،
مصدراً لقوله سبحانه بعد ذكر الرتق و الفتق بين الأرض والسماء : (وجعلنا
من السماء كل شئ حي) و يؤكد اتجاهنا في ذلك أن الله جلت عظمته ،
قد جعل الكون كله مسخراً لخدمة هذا الانسان الذي هو جزء من الأرض
و أهم عنصر نشأ منها وعليها ، قال جلت عظمته في الآية ٢٠ من سورة القمر :
(ألم تر أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأصبح عليكم نعمه
ظاهرة و باطنة) وجاء في الآية ١٣ من سورة الجاثية : (وسخر لكم ما في
السماوات و ما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) وقال
جلت عظمته في الآيتين ٣٣ و ٣٤ من سورة إبراهيم : (وسخر لكم الشمس
و القمر دائبين و سخر لكم الليل و النهار و آتاكم من كل ما سألتموه و إن
تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلم كفار) و لعل ما يدل أيضاً
على أن تغليف الأرض بالقشرة الترابية بعد خلق السماء تمهيداً للانتفاع بذراتها
و غروبها و معادنها للانسان و الحيوان و الطير و كل ما يدب عليها و أن
الماء منها وإليها ، نعم لعل مما يدل على ذلك قوله سبحانه في الآيات من ٢٧
إلى ٣٣ من سورة النازعات : (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها
فسواها . و أغطش ليها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاهما . أخرج
منها ماءها و مرعاها . و الجبال أرساها . متاعاً لكم و لانتعابكم) .

و أرجو أن يكون واضحاً أن دحر الأرض غير خلقها ، بدليل ذكر
خروج الماء و المرعى بعده ، و لعله هو التغليف و الطلاء بالقشرة الترابية ،

تمهيداً لنشأة مخلوقات حية واتقوم لهذه المخلوقات بما يلزمها من طعام وشراب
وكساء وهواء ، وغير ذلك كما تقدم التذليل عليه من سورة فصلت فى الآيات
٩ - ١٢ المتقدمة و الآية ٣٠ من سورة الانبياء وهى : (أولم ير الذين
كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل
شئى حى) .

و السماء ذات الرجوع :

وقد أقسم الله سبحانه بذلك فى سورة الطارق : (والسماء ذات الرجوع
والأرض ذات الصدع . إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل) ولا أستطيع
أن أمر على كلمة الرجوع المذكورة فى الآية دون أن أشير إلى ما يظهر مما يشتمل
عليه معناها ، من حيث إن مياه الأمطار وذوب الثلوج ليست إلا جزءاً من
مياه الأرض تصاعدت بخاراً ثم رجعت إليها ماء عذباً طهوراً ، كما جاء فى الآية
المتقدمة (أخرج منها ماءها ومرعاها) (وجعلنا من الماء كل شئى حى)
ولا يخفى ما فى القواعد العلمية الراسخة من تأييد لذلك فقد قال العلماء : (إن
مياه الأمطار تبدأ متصاعدة من مياه الأرض ثم ترجع إليها مرة أخرى تحمل
عناصر الحياة فيها و عليها ، و لقد جاء فى الآية ٢٢ من سورة الحجر :
(وأرسلنا الرياح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين)
كما جاء فى الآية ٥٧ من سورة الاعراف : (وهو الذى يرسل الرياح بشراً
بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميث فأنزلنا به الماء ،
فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) و فى ختام
الآية ١٦٤ من سورة البقرة : (و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين
بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون) ومعلوم أن الرياح تحيط بالأرض

كغلاف يحتمل السحب و تقوم بازجائها إلى حيث تتجمع و تتراكم فى سماء
الأرض القريبة ثم تكون ماء لحياة الأرض و ما عليها .

ومما تقدم يتبين أن الأرض حيا كانت تلتهم أرسلت من دخانها فى كل
اتجاه ما تكونت منه السماء وأجرام الفضاء ، ثم أحيطت بغلاف ترابى واستعدت
للقيام بدورها فى أن تمد مخلوقات الله بمائها و مرعاها وخيراتها لتكون صالحة
لحياة الانسان و ذلولاً له ، و صدق الله سبحانه حيث يقول : (وهو الذى
جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) .
ومما يدل على أهمية الأرض أيضاً ، أنها كانت موضع اختصاص فى الملا
الأعلى عندما اختار الله سبحانه هذا الانسان و أسند إليه عمارتها ، وحمله
الأمانة و سلحه بالمواهب و القدرات ، و أمره باستخدامها فى الصلاح ،
كما سأتى ذلك فى قصة آدم عليه السلام حيث جاء فى كتاب الله الكريم على
لسان ملائكته الكرام (قالوا أيجعل فيها من يفسد فيها و يفسك الدماء ونحن
نسبح بحمدك و نقديس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) (الآية ٢٩ من
سورة البقرة) .

و لم يعط الله الانسان هذه المكانة إلا لأنه مركز الثقل و الأهمية بين
المخلوقات العاقلة و الحية كلها و قد سخر الله له المخلوقات كلها كما تقدم ، وآتاه
من أسباب العلم و المعرفة ما لو أقبل عليه و أخلص له لكان موضع الحكمة
و مكان الأسرار الكونية (و من يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) .

وفى الدار الآخرة يخص الله - جلّت عظمتة - من أدى الرسالة وحافظ
على الأمانة من عباده الصالحين - بأعظم مكان تحت العرش - ألا وهو الفردوس
الأعلى ، ولا يخفى ما فى هذا المكان من تكريم له دون سائر المخلوقات حتى

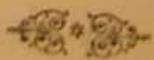
ملائكة الله الكرام فانهم بالنسبة له حفظة وكتبة في الحياة الدنيا ، يدعون له بكل خير و يستغفرون للذين تابوا ، وهم في الآخرة أيضاً خزنة لئلا يذوقوا نار جهنم و في الحديث : (إن الملائكة لتضع أذنهم على باب كل بيت) وقال الرسول ﷺ أيضاً (لو لا العجب في طالب لصاحفه الملائكة عياناً) .

هذا وقد نصر الله أبا البشر آدم في الملا الأعلى بفضل العلم كما سيأتي تفصيل ذلك بعد هذا باذن الله ، وفي هذا ما يضي على الأرض أيضاً مكائنها ، و يمنحها منزلتها اللائقة بها ، لأن الانسان مخلوق من هذه الأرض كما تقدم .

وقبل الختام أرجو ألا يكون فيما تقدم من أن الأرض هي أصل المجموعة و أن السماء و الأجرام تكونت من دخان نار الأرض و أن الشمس ليست إلا كوكباً سخر لحياة الأرض و ما ومن عليها و أن منطوق القرآن يشهد أن المجموعة كلها خلقت لخدمتها كما ذكرت الآيات السابقة و أن الأرض هي النواة و المنطلق للكون كله ، نعم نرجو ... ألا يؤدي هذا الرأي إلى انتكاس في نفوس القراء لمعارضته ما درجت عليه الدراسات النظرية في مختلف دور العلم و الجامعات ، و من المعلوم أن كثيراً من الدراسات النظرية : استنتاجات و افتراضات قابلة للنظر لم تجد إلى الآن ما يرسخ قواعدها فخلدت في الأذهان و حلت مكان العقائد قبل البت فيها ، وقد اعتاد الناس في هذا العصر الاستقاء من موارد الغرب و الأخذ بعلمه و نظرياته ، فإذا استقرت في الأذهان نظرية ما ، فانه من الصعب إزالتها إلا بأخرى معاكسة يقوم عليها برهان غربي حديث ، و لهذا فانه لا بد من مرور روح من الزمن حتى تعود الثقة العلية إلى ما يقرره الشرق من علوم و نظريات ، و يصبح مورداً عذبا للعلوم و المعارف كما كان من قبل و لا سيما و أن كتب السماء المنزلة بعلم الله الثابت

الراسخ الذي لا يعتره تغيير و لا تبديل - و قد نزلت على أنبيائه في الشرق بلغاتهم و حملها عنهم تلاميذهم فأضاقوا بها دنياهم في كل اتجاه ، ثم أخذها الغرب عنهم بعد ذلك و وقفنا منهم اليوم موقف المأمومين بعد أن كنا في مركز القدوة و محراب الامامة .

و هذا ما حدا بنا في مطلع المقال إلى أن نردد المثل المشهور : (إن زامر الحى لا يطرب) . على أن ما جاء مفصلاً في كتاب الله لا سيما في السورة التي سماها الله سبحانه (فصلت) فوق علم العباد و استنتاجات الألباء : (و فوق كل ذي علم عليم) و أختتم هذا المقال بقوله سبحانه : (قل ما أسألكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلمين . إن هو إلا ذكر للعالمين . و لتعلمن نبأه بعد حين) الآيات ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ من سورة (ص) و من ذلك يظهر أن باب التفكير و البحث مفتوح و مجال التطور فيه رحب ، و أمره واجب و مطلوب و في كتاب الله - من ذلك أعذب الموارد و أوسعها ، و نكتفي منها بذكر الآية ٥٢ من سورة الأعراف حيث يقول سبحانه : (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى و رحمة لقوم يؤمنون) و قد أمرنا بالتفكير فأطعنا في حدودنا ، و أمرنا بالتدبير فحاولنا قدر استطاعتنا في غير تكلف - فكان من واجبتنا عرض ما لاح لنا دون فرضه ، و الله سبحانه ولى العلم و التوفيق .



التضحية بالرخص و الغالى في سبيله و لا تنكشف حقائقه - كما أسلفنا عند الكلام حول معاني التلاوة - إلا لمن جعل نفسه في حيازة القرآن ، فإذا كانت الحالة كهذه أصبح لدى نفس الانسان - بعد مجاهدة طويلة الأمد ورياضة شاقة متعبة - طبع ساس منقاد عبر عنه الرسول ﷺ بقوله : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ، و هذه هي البداية بخصوص الهداية التامة التي في القرآن ، و كلما زاد الانسان قوة وإحكاماً في صلته بالقرآن زاد القدر من الهداية (و الذين اهتدوا زادهم هدى و آتاهم تقواهم) (سورة محمد) .

فكأن الانسان إذا تبع القرآن وهو ممسك بطرفه أصاب الصراط المستقيم و وحده نفسه في ازدياد رشداً و هداية و إذا تلاه غير قاصد العمل به فقد أضاع الوقت بدون أى انتفاع وقد جلب عليه اللعنة كما نقل الامام الغزالي عن بعض العارفين بأن كثيراً من قراء القرآن لا يجحدون من قراتهم إلا اللعنة فانهم كلما قرأوا قوله تعالى : « ولعنة الله على الكاذبين ، جعلوا أنفسهم عرضة لها لسكذبهم ونفاقهم ، وإذا قرأ قوله تعالى : « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله ، (البقرة) كان ممن يأذنون بحرب من الله و رسوله إذا كان ممن يأكلون الربا و لا يتركونها بحال ، و كذلك جلب عليه الويل عند قرأته « ويل للطففين ، و « ويل لكل همزة لمزة ، إذا كان من أصحاب هذه الصفات القبيحة والجريمة أشد بالنسبة لأولئك المشتغلين بالقرآن الذين قضوا أعمارهم في البحث والتفتيش عن درره و جواهره ثم لم يعملوا به و لم يراعوا حقوقه فانما عملهم هذا لا يعدو التلعب بالقرآن فلا يرجعون على أنفسهم بقراءة القرآن إلا بالضلال كما قال تعالى : « يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً ، (البقرة) و لا يعودون على إخوانهم إلا بفتح أبواب من الفتنة و الفساد بحيث تصدق

ماذا يجب على المسلمين تجاه القرآن

★ بقلم : الدكتور أسرار أحمد
★ تعريب : صيب حسن السلفي
(الملحقه الرابعة)

العمل بالقرآن :

هذا هو الحق الرابع بعد الايمان به و تلاوته و التدبير فيه وهو المقصود لما سبق من الحقوق فان القرآن ليس سحراً أو طلاسماً تدفع بها البلايا ولا هو كتاب بركة لحسب ليتلى احتساباً أو رجاء نقص في الأوجاع والآلام عند النزاع و لا هو كتاب فلسفة يقرأ للبحث و التحقيق ويخرج منه بنكات تحير العقول و تدهش النفوس بل إنما هو « هدى للناس ، كما مر بيانه لا تتم رسالته إلا إذا حققه الناس في حياتهم ، وقد أوضح القرآن بدون خفاء أو غموض وبينه الرسول ﷺ بأنه من لم يعمل بالقرآن و لم يحكم به لا يعتد بإيمانه و لو قضى عمره قراءة له و التدبير فيه . يقول الله عز وجل : « و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، المائدة . و زاده الرسول إيضاحاً بقوله : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ، و قوله : « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ، (الترمذى) .

قد يعذر ذلك الرجل الذي لا يزال يطلب الحق و يبحث عنه وقد اهتم بالقرآن قراءة و فهماً ليعرف أحق أم باطل ، و أما من آمن بالقرآن كلاماً منزلاً من الله فلا يسعه إلا أن يتلو القرآن وهو منصرف إليه بكامل عزيمته و إرادته ، مستعد لتحقيق أوامره و الاجتناب عن نواهيه و لو اضطر إلى

عليهم قوله تعالى : « فيتعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » (آل عمران) و لم يكن يتوقف الصحابة رضوان الله عليهم على بعض الآيات و السور أما إذا طويلاً إلا الحرص على العمل بما تيسر لهم من قراءة القرآن مع فهمها و تدبر معانيها حق التدبر والفهم ، و مما يستعجب منه أن الصحابة ما كانوا يعنون بحفظ القرآن عن حفظه في الصدور فحسب بل إنما يعنون به عن فهم مضمونه و العمل بأحكامه حتى يستوعبوه فهماً و حفظاً وعملاً في آن واحد . و كأنهم عنوا به عن إعماله في حياتهم بحيث تكون كلماته محفوظة لدى ذاكرتهم و علومه في أذهانهم و أحلامه في سيرهم و خلقهم (١) و هذا ما عنته السيدة عائشة في قولها المحكم عندما سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت : « كان خالق القرآن ، أي كان النبي ﷺ نموذجاً مثالياً لتعاليم القرآن

فالمقصود من حفظ القرآن وعلوه هو العمل به حتى يصير المرء متخلقاً بتعاليم القرآن أجمعه و إلا أصبح بمن يحتاج عليهم القرآن كما قال النبي ﷺ « القرآن حجة لك أو عليك ، و هناك نقطة لا بد من التنبه عليها و هي أن للعمل بالقرآن جانبين اثنين ، الجانب الشخصي و الجانب الاجتماعي ، و إن المرء

(١) كما تشهد عليه هذه الرواية التالية التي نقلها السيوطي في « الاتقان ، (مأخوذاً عن كتاب « مبادئ تدبر قرآن ، تأليف الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى) .

« وقد قال أبو عبد الرحمن السلفي حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن كعثمان بن عفان و عبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم إذا كانوا يتعلمون من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم و العمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة .

مكلف على الفور بالأحكام و الأوامر التي تتعلق بحياته الشخصية ولا عذر له إذا أهملها أو قصر في أدائها فإذا لم يعمل بها أصبح بمن قيل عنهم بلسان القرآن « أكثر منافق أمتي قراؤها (١) ، (مسند أحمد) فالطريق الأسلم هو العمل ما أمكن بما تيسر للانسان عليه من آيات القرآن على الفور ، و أما الأحكام التي تتعلق بحياة الانسان الاجتماعية فليس بمكلف باقامتها في حد ذاته و إنما عليه أن يجتهد و يجتهد بما استطاع في إيجاد جو اجتماعي يصاح لاقامة هذه الأوامر و لم يكن جهده هذا إلا « معذرة إلى ربكم (٢) ، يقوم مقام تنفيذ هذه الأوامر الاجتماعية فعلاً و أما إذا قصر في القيام بمثل هذا القدر الزهيد من العمل منصرفاً بنفسه إلى كسب قوته و رعاية ذويه فيخشى عليه من ضياع حصيلته بما قدم من العمل بأوامر القرآن المتعلقة بالنواحي الشخصية كما يظهر من قوله عز و جل : (أفتمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض (٣) .

(١) ليس المراد « بالقراء ، المقرئين فقط بل إنما يعنى به عن كل من

يشغل بالقرآن قراءة و تحقيقاً وليس له حظ من العمل به إلا قليلاً .

(٢) الآية « و إذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً مهلكهم أو معذبهم

عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم و لعاهم يتقون ، (الأعراف) .

(٣) يرتجف القلب من هول الوعيد الشديد الذي يعقب هذه الكلمات وهو

قوله : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا

ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وهذا ما أصاب الأمة المسلمة

جزاء إهمالها لآيات الله فما أشد خزيها في الدنيا كما تراه العيون ويشهدها

الواقع ، و أما عذاب الآخرة فلا مفر منه كذلك إلا إذا شئنا الله

برعايته الخاصة . إن تعذبهم فإنهم عبادك و إن تغفر لهم فإنك أنت

العزیز الحكيم ، (المائدة) وكم يصدق علينا قول النبي ﷺ : ★★

و كما أن القرآن اصطلاح للتعبير عن فهمه في أوسع معانيه على كلمة (التذکر) أورد تركيب (الحكم بما أنزل الله) للتعبير عن العمل بالقرآن كما في قوله : (إن الحكم إلا لله) (يوسف والأنعام) وجعل القرآن حكماً في قوله : « وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ، (الرعد) ومو من واجبات الرسول المهمة كما في قوله : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، (النساء) .

ثم صرح بدون غموض و إبهام بقوله : « و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، « و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، « و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، (المائدة) . الحكم هو القضاء لغة ، واندرك معناه الواسع يجب أن نعرف أن هناك شيئين من أهم الأشياء بالنسبة لكل إنسان : فكره وعمله ، وقد أحاطت كلمة الحكم كليهما بحيث توضح الرابطة الموجودة بينهما « إذا وله المرء بأى فكر أو مبدءاً بحيث يصبح رأياً يرتأيه أو قضاء يقضى به - أو بعبارة أخرى - حكماً يحكم به صار عمله تابعاً له تلقائياً .

و لذلك أورد القرآن اصطلاحه الخاص - الحكم بما أنزل الله - معبراً عن العمل به حتى يتضح لكل ذى عينين أنه لا يمكن العمل بالقرآن إلا إذا

★★ « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً و يضع به آخرين ، (رواه مسلم عن عمر بن الخطاب) .

و ما أحسن ما قاله الشاعر :

« كانوا أعزة لأجل إسلامهم وصرنا أذلة لجمالنا القرآن وراه ظهورنا ، (الترجمة) .

صارت أفكار الانسان وآراؤه تابعة للقرآن متقادة له لا تتجبد عنه قيد شعرة في حال من الأحوال .

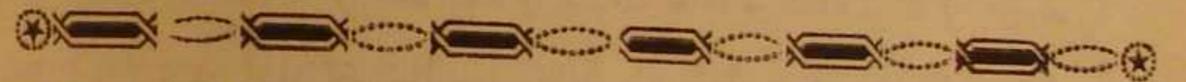
وهناك اصطلاح آخر وهو « الإقامة » للتعبير عن العمل بالكاتب السماوية كما ورد بخصوص اليهود و النصارى ، و لو أنهم أقاموا التوراة و الانجيل و ما أنزل إليهم من ربهم لآكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم ، (المائدة) ثم أردفها بقوله المحكم : « قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة و الانجيل و ما أنزل إليكم من ربكم ، (المائدة) .

و إذا كان الحكم بما أنزل الله يتصل عادة بالأفراد و أعمالهم عنى « بما أنزل الله » عن إقامة ذلك النظام الاجتماعى العادل الذى يضمن لأفراده وجميع طبقاته عدلاً شاملاً و رخاء و سكينه فلا ظلم و لا عدوان و لا بغى و لا طغیان و لا باباً يفتح للضغط السياسى أو الاستغلال الاقتصادى و يتم بذلك الأمن و السلام و السكينه و الطمأنينه كما بشرت به الآية السالفة الذكر من سورة المائدة ، و قد أشار الله تعالى إلى إقامة هذا النظام التكافلى فى الآية التالية من سورة الحديد إجمالاً بقوله : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط ، و ذكره تفصيلاً و إيضاحاً فى سورة الشورى بحيث يتضح منها ما يوجد بين الحكم الالهى و إقامة دينه و الايمان بكتابه ، و إيجاد هذا النظام العادل من روابط و وثيقة محكمة الوشائج فذكر أولاً الأساس الذى يبنى عليه بقوله « وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله ، ثم أعقبه فى الآيات التالية بذكر الدين أو الشرع الذى ينتج عن الحكم الالهى فقال : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً و الذى أوحينا إليك و ما وصىنا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه ،

خاطب بعدها الرسول بقوله : « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب و أمرت لأعدل بينكم » واختتم هذا الموضوع بهذه الكلمات الجامعة التالية .

« الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب ، و قد ذكر « الميزان » في هذه الآية مقترناً « بالكتاب » كما سلف في آية من سورة الحديد و قد جاء الأستاذ شبير أحمد عثمانى بكلام جامع عندما فسر هذه الآية فقال : « أنزل الله ميزاناً مادياً توزن فيه الأجسام و ميزاناً علمياً يعبر عنه بالعقل السليم و ميزاناً خافياً يعنى به عن صفة العدل و الانصاف و ميزاناً آخر من أكبر الموازين و هو ميزان الدين الحق يميز حقوق الخالق منها للاخلاق و يوزن فيه الكلام فلا ينقص و لا يزداد .

[يتبع]



(بقية المنشور على ص ٣٠)

على الوجه الاكمل تكون قد قامت بعملة متحركة و مستمرة تتمثل في التحرر من الشرك و تحكيم العقل و المنطق و الرأي المستقل و التعقل و التمعن في التعاليم الالهية المنزلة و تحويل حياة الفرد و الجماعة حسب أحكام الله سبحانه و تعالى و هذه الرسالة موجهة لكل الناس كما جاء في سورة آل عمران « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله ... إلخ »

(للبحث صلة)

نحو انبعث الفكر الاسلامي

و ازدهار الحضارة الاسلامية من جديد

الدكتور محمد نجاته الله الصديقي

أستاذ الاقتصاد بجامعة عليكرة الاسلامية (الهند)

« أتى هذا المقال في الملتقى الثامن للفكر الاسلامي المقدم ما بين فترة ٢٥ / مارس / ٥ / إبريل ١٩٧٤ م في الجزائر »

لقد شهدت السنوات الأخيرة نهضة كبرى بين الشعوب الاسلامية وخاصة بين العرب و هنالك علامات لا تخطئها العين تؤكد بأن العالم الاسلامي قد صد أفاق من عصور الظلام و الركود يحدوه الأمل الأكيد في استعادة مجده التليد و اتخاذ مكانه المرموق لقيادة الانسانية - و ظهر هذا جلياً من العمل الدؤوب المثمر في المجالات السياسية و الاقتصادية لتحقيق ذلك الغرض ، و لعل أهم مجهود قد اتخذ في المجال الثقافي الذي يهدف لفهم و استيعاب الاسلام و تفسير التراث الاسلامي بما يتمشى مع العصر الحديث و تحدياته التي لا تحصى و لا تعد .

و إنه لشئ حسن أن نقرر في مؤتمرننا هذا بحث هذه الأمور المهمة خاصة فيما يتعلق باسهام الفكر الاسلامي و الحضارة الاسلامية في تقدم العلوم والآداب المختلفة وإثراء التراث الانساني في الماضي وقدرتها لأداء نفس الدور في الحاضر - علينا أن نحدد العوامل التي ساعدت في التقدم المطرد في العصور الأولى - ثم بعد ذلك نبحث في أسباب الانحطاط و الركود التي أعقبت ذلك الازدهار ، و بما أننا بصدد انبعث الفكر الاسلامي و ازدهار الحضارة الاسلامية من جديد فإن الهدف الثالث من هذا البحث يتمركز في تحديد الأسباب و المتطلبات التي تمهد لتحقيق هذا العمل الجليل على خير وجه .

لا أرى ضرورة للكتابة بالتفصيل عن التقدم الشامل الذي حققه المسلمون منذ فجر الاسلام و حتى القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر للميلاد) واستمر الازدهار لقرنين آخرين مع بعض التأخر و بعد ذلك جاءت خمسة قرون من الركود و الانحطاط (حتى القرن الماضي) .

لقد عم الأمن و التقدم بقاع العالم الاسلامي المترامي الأطراف آنذاك و ازدهرت التجارة و الصناعة - و كانت الادارة ممتازة الأداء بما أشعر كل فرد بالأمن و الطمأنينة و اتسعت دواوين القضاء لتحقيق العدالة بين الناس و انتشرت المستشفيات و معاهد العلم و وسائل الخدمات الاجتماعية في المدن الكبيرة ، و بلغت المعرفة مرتبة عظيمة و أصبحت دور العلم قبلة الشباب .

و كان من نتائج هذا العصر الذهبي الاسلامي ظهور علماء ومفكرين يشار إليهم بالابان أثروا الحضارة البشرية باسهامهم الاصيل في شتى فروع المعرفة مثل الأدب العربي وقواعد اللغة العربية والتفسير والحديث وازدهروا جنبا بجانب القانون الاسلامي ، ومنذ مطلع القرن الثاني انشغل العلماء والفقهاء بخلق وابداع الشريعة الاسلامية والفقهاء و اصول الفقه ، وأصبحت هذه أم العلوم في الاسلام لشمول هذه القوانين كل جوانب الحياة بما جعل النقاش المثمر المفيد للجدالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية و النفسية ضرورة قصوى ، و وضعت الخطوط العريضة لنظام الحكم والادارة والاقتصاد والضرائب . . إلخ ، انتهى .

الطريقة للراعي و الرعية على السواء ، بالاضافة لذلك فقد وضعت الأسس الجديدة لعلم الكلام الذي يهدف لترعيم الايمان على النهج القويم والمنطق السليم .

و قام المسلمون في الفترة ما بين القرن الثامن و القرن الحادي عشر الميلادي بتقديم ملحوظ ومطارد في العلوم الطبيعية ، وأسهم العلماء المسلمون بدور

كبير في التاريخ الطبيعي و الفيزياء و الكيمياء ، و الجغرافيا ، و الفلك ، التي كانت اللبنة الأولى لتقدم العلوم في الغرب ، لقد بدأوا بتطبيق التجربة العملية للظواهر الطبيعية بدلا من طريقة التخيل و التسكهن وهذا بلا شك فتح الطريق أمام الثورة العلمية التطبيقية ، ولقد طور العلماء المسلمون الأوائل الرياضيات التي بدونها يصبح من العسير تقدم العصور في العلم الحديث ونذكر على سبيل المثال أسماء العلماء : الكندي ، الخوارزمي ، ابن الهيثم ، ابن البطار ، أبو بكر الرازي ، الدينوري ، المسعودي ، ابن خلدون ، ابن رشد و البيروني ، و لقد نبغ ابن خلدون و القاضي في الاجتماع و الفلسفة ، و الفترة امتدت لحوالي ألف سنة لم يجد من يضاهي العلماء المسلمين في الطب و الجراحة ولعل ابن سينا هو أصدق مثل على ما أقول .

لقد أقر الجميع بالحقيقة التالية : إن اسهام المسلمين في شتى مجالات المعرفة وطريقتهم العلمية والمعامل التي شيدها للتقدم العلمي قد وضع الأساس الأولى لعصور النهضة في أوروبا ، إن المراجع العربية التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية تمثل نقطة الانطلاق في الفلسفة ، الرياضيات ، الطب ، العلوم الطبيعية بالنسبة للراكر العلمية الجديدة في أوروبا في أول عصور النهضة ، إن نظام الحكم الاسلامي و الادارة و الاقتصاد و الاهتمام برعاية الشعب عن طريق المؤسسات المختلفة صورة طبق الأصل لتطلعات العالم المتمدن ، ولاشك أنه من خصائص الحضارة الاسلامية آذك البحث عن الحقيقة تأكيد منافع الحكم و الادارة و حب العلاقات الانسانية ، إن الاخلاق الفاضلة التي نادى بها الاسلام أصبحت متاحة لكل العالم ، لقد كان الدافع ايجائياً يهدف لخير و رفاهية الانسان من واعز روحى و أخلاقى و هادى في آن واحد .

لقد وضع سيدنا محمد ﷺ أصولاً ثابتة و قواعد متينة لكل الانجازات المثمرة في عهد الاسلام الزاهر عن طريق رسالته النبوية ، إن فحوى الرسالة الرئيسية هو التوحيد الذي يشمل عملية التحول الاسلامي بالنسبة للفرد والجماعة ، التوحيد هو أن يسلم المرء أمره إلى الله سبحانه و تعالى لأنه المصدر الوحيد لكل شئ في الوجود ، إن الغاية السامية التي ينشدها الانسان هي إرضاء الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، إن الانسان عندما يطلب رضا الله لا يشرك به أحداً و لا يستقبل هادياً يهديه بالصرائط المستقيم غيره ، وهذا التسليم لأمر الله يعنى حب الله و إجلاله و تقديسه و طاعته و الايمان به إيماناً كاملاً عن رغبة و رهبة ، و من هنا يتضح أن هذا الارتباط كامل و إيجابي .

التوحيد يتضمن أن يتحرر الانسان من كل أنواع القهر و التسلط الذي صنعته الانسان عبر الأجيال ، لقد حرر الرسول - عليه الصلاة و السلام - أتباعه من الطاعة العمياء للآباء و الأجداد و تقبل أوامر القادة و العظماء دون فهم و نقد ، و لقد حرر عقولهم من الخرافات و التشاؤم من الظواهر الطبيعية و الكونية و دفعهم لاستخلاص تجاربهم عن طريق تحكيم السمع و البصر و الفؤاد . و التوحيد يتضمن علاقة محدودة بين الكائنات ، إن الله خلق كل شئ في الوجود لمنفعة الانسان ، و هذا يتطلب الفهم الصحيح للطبيعة و توجيهها لمصلحة الناس ، و نستنتج من هذا أن يعيش المجموع في مودة و إخاء و تعاون ، الذي يقود إلى رضا الله و رضوانه و هذا كان حافزاً للانسان لكي لا يحدث تغيير جذري للعالم من حوله و هذه هي الرسالة التي أخذها المسلمون بأقتديهم بغية تسليم أمرهم إلى الله سبحانه و تعالى ، و الأمة عندما تؤدي هذه الرسالة

(البقية على ص ٢٦)

الدعوة الإسلامية

- ★ نظرة محمد إقبال إلى العلوم و الآداب
- ★ الذين ينطرحون بقرونهم جهل الاسلام

تسمى « الوجودية الأدبية » . و كان الأدب العصري ينادى بلسان حاله
(لا وجود إلا المرأة) أو (لا وجود إلا الفتاة) . يقول محمد إقبال :
« أسفاً للشعراء و الرسامين و كتاب القصة في بلادنا ، لقد استولت على
أعصابهم المرأة » . ولا شك أنه تصوير صادق للاتجاه الأدبي العام في الشرق
الاسلامي و اندفاع الأدب المتهور وراء المرأة ، وهيامه بها ، وإعراضه عما سواهما .

و له في الفلسفة و علوم الحكمة كذلك رأى خاص . فهو يرى أن
الفلسفة لا تعيش إلا بالجهاد والتضحية ، وأن الفلسفة التي تقتصر على الدراسات
و البحوث العالية ، و تنتهي بالمناقشات اللفظية و مباحث ما بعد الطبيعية و لا تدخل
في صميم الحياة و لا تتعرض للمجتمع ، و تعيش في العزلة عن العالم ، إنما هي
فلسفة منهارة لا تستطيع أن تعيش . يقول في بيت : « إن الفلسفة التي لم تكتب
بدم القلب فلسفة ميتة أو محاضرة » .

و قد انتهت به دراسته للفلسفة ، و توفره على مطالعتها و نقدها ، و التفكير
الطويل العميق ، إلى إخفاق الفلسفة في حل مشاكل الحياة ، و إنما صدقة لامعة
خالية من المألوف ، و هو بمعزل عن الحياة و الكفاح ، لا تساعد البشر و لا تمنحهم
دستوراً للحياة ، و إن هو الذي ينظم المجتمع ، و ينور الطريق ، و يقدم
دستوراً للحياة ، و إن سيدنا محمداً ﷺ هو المصدر الوحيد الذي يستفاد منه
هذا العلم . عرف الشاعر صديقاً له من الهاشميين قد أثرت فيه الفلسفة تأثيراً
كبيراً ، و نزلت عقيدته الاسلامية . فكتب إليه محمد إقبال قصيدة ، يقول :
« أنا رجل كما تعرف ، أنتهى في أصلي إلى سومنات (المعبد الوثني المعروف في
(الهند) و كان أبى من عباد اللات و مناة ، و إن أسرق عريقة في البرهمية
ولكن يجرى في عروقك دم الهاشميين ، و تنتمى إلى سيد الأوابين و الآخرين ،
و قد اهترجت الفلسفة بلحمى ودى ، و جرت منى مجرى الروح . أنا ، و إن

نظرة محمد إقبال إلى العلوم و الآداب

الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي

للدكتور محمد إقبال آراء حصيفة في العلوم و الآداب و الشعر ، هي
عصارة تفكيره و تجاربه . منها ، أن الأدب موهبة كبيرة من مواهب الله ،
و قوة عظيمة ، يحدث به صاحبه إنقلاباً في المجتمع ، و ثورة فكرية ، يضرب
به الأوضاع الفاسدة الضريبة القاضية ، و يشعل القلوب حماسة و غضباً ، و يشعل
البلاد ناراً و ثورة ، و يملأ النفوس قلقاً و اضطراباً . و تدمراً من الشر ،
و تطلعاً إلى الخير ، فلا بد أن يكون في قلم الأديب و الشاعر التأثير الذي كان
في عصا موسى ، و أن يؤدي رسالته في العالم ، و كل أدب استغل لجمع المادة
أو إرضاء الأغنياء و الأثرياء أو إثارة الشهوات ، أو على الأقل كان أداة
للهو و التسلية ، و التذوق بالجمال و التغنى به ، فهو أدب ضائع مظلوم ،
استعمل لغير ما خلق له ، و لغير ما وهب له . يقول في بيت : « أنا لا أعارض
التذوق بالجمال و الشعور به ، فذلك أمر طبيعي ، و لكن أي فائدة للمجتمع
من علم لم يكن تأثيره في المجتمع كتأثير عصا موسى في الحجر و البحر » .
و يعتقد محمد إقبال أن الأدب لا يصل إلى حد الإعجاز حتى يستمد حياته و قوته
من أعماق القلب الحي ، و يسقي بدمه .

يقول محمد إقبال هذا ، و يرى بالعكس أن الأدب في الشرق الاسلامي
قد أصبح تتحكم فيه المرأة ، فأصبح لا يتحدث إلا عنها ، ولا يتغنى إلا بها ،
و لا يبحث إلا فيها ، و لا يصور إلا إياها ، و لا يرى في السكون إلا
ظلمها و جمالها ، و هذه عقيدة جديدة في وحدة الوجود ، التي يمكن أن

كنت لا أحسن شيئاً ، فلا شك إنى نزلت في أعماق هذه الفلسفة ، وتغلغلت في أحشائها ، وبعد ذلك أقول : إن الحكمة الفلسفية ليست إلا حجاً للحقيقة ، وإنما لا تزيد صاحبها إلا بعداً عن صميم الحياة ، وإن بحوثها وتدقيقاتها تقضي على روح العمل . هذا هيجل ، الذي تبالغ في تقديره ، إن صدفته عالية من اللؤلؤة و إن نظامه ليس إلا وهماً من الأوهام . لقد انطفأت شعلة القلب في حياتك أيها السيد ، وفقدت شخصيتك ، فأصبحت أسيراً واهجسان ، إن البشرية تريد أن تعلم : كيف تتغن حياتها وكيف تخلد شخصيتها ، إن بني آدم يطلبون الثبات و يطلبون دستوراً للحياة ، ولكن الفلسفة لا تساعدهم في ذلك . بالعكس من ذلك ، إن المؤمن إذا نادى الآفاق بأذانه ، أشرق العالم واستيقظ الكون . إن الدين هو الذي ينظم الحياة ، وإنه لا يكتب إلا من إبراهيم ومحمد ﷺ ، فطبعك أيها السيد ! بتعاليم جدك ﷺ . إلى متى يا ابن علي ! - رضى الله عنه - تقلد أبا علي (ابن سينا) ، إذا لم تكن بصيراً بالطريق فالقائد القرشي (يعني رسول الله ﷺ) خير لك من القائد البخاري (يعني ابن سينا) ، و بالاجمال إن الدكتور محمد إقبال يرى ، أن نظام التعليم الحديث قد أخفق في أداء رسالته و أخفق في إنتاج جيل جديد يحسن الانتفاع بمعلوماته ، ويحسن استعمال مادته العلمية و ثروته الثقافية ويضع كل شئ في محله ، ويعيش حياة سعيدة مطمئنة . بالعكس من ذلك ، وجد جيل مثقف ثقافة عالية ، يعرف عن مجاهل إفريقيا و القطب الشمالي ، وعن حياة الحيوان والنبات شيئاً كثيراً ، و لا يعرف عن نفسه إلا قليلاً . و يسخر التجسرة و الكهرباء ، و يسخر الطاقة الذرية في الزمن الأخير و لا يملك نفسه و قوته . و يطير في الهواء كالطير ، و يسبح في البحار كالسمك ، و لا يحسن أن يمشي على الأرض ، و ما ذلك إلا لأن التعليم قد اختل ميزانه ، وفسد مزاجه ، و كيف يستقيم الظل و العود أعوج ؟ يقول في قصيدة : « من الغريب أن من اقتنص أشعة

الشمس ، لم يعرف كيف ينير ليله و كيف يصبح . وأن من بحث عن مسالك النجوم و طرقها ، لم يستطع أن يسافر في يسداء أفكاره . و من عكف على الأغاز يحملها و يشرحها لم يستطع أن يميز النفع من الضرر . و في الأخير إن الدكتور محمد إقبال يتعنى للإسلام جيلاً جديداً . شبابه طاهر نقي و ضربه موجع قوى ، إذا كانت الحرب فهو في صواته كأسد الشرى ، و إن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحلى ، يجمع بين حلاوة العسل و مرارة الخنظل . هذا مع الأعداء و ذلك مع الأواباء . إذا تكلم كان رقيقاً ، و إذا جد في الطلب كان شديداً حفيماً . و كان في حالي الحرب و الصلح عفيفاً نزيهاً . آماله قليلة ، و مقاصده جليلة غنى القلب في الفقر ، فقير الجسم و البيت في الغنى . غيور في العسر رؤوف كريم عند البسر . يظلم إن أبدى له الماء مئة ، و يموت جوعاً إن رأى في الرزق ذلة . إذا كان بين الأصدقاء كان حريراً في النعومة ، و إن كان بين الأعداء كان حديداً في الصلابة . كان طلاً و ندى ، تنفتح به الأزهار و ترف به الأشجار ، و كان طوفاناً تصطرع به الأمواج و ترتعد له البحار . إذا عارض في سيره صخوراً و جبلاً ، كان شلالاً ، و إن مر في طريقه بحداثق ، كان ماءً سلسلاً ، يجمع بين جلال إيمان الصديق ، و قوة علي ، و فقر أبي ذر ، و صدق سلمان ، يقينه بين أوهام العصر ، كمصباح الراهب في ظلمات الصحراء . يعرف في محبته بحكمته و فراسته ، و بأذان السحر . الشهادة في سبيل الله أحب إليه من الحكومات والغنائم ، يقتنص النجوم ، و يصطاد الأسود ، و يبارى الملائكة ، و يتحدى الكفر و الباطل أيما كانا . يرفع قيمته و يزيد في سعره ، حتى لا يستطيع أن يشتره غير ربه . شغلته مآربه الجليلة ، و حياة الجد و الجهاد عن زينة الجسم و التألق في اللباس . و شعر بانسانيته ، فترفع عن تقليد الطائوس في لونه ، و العندليب في حسن صوته .

الجامعات التي تزعم أنها تنطلق من نطاق الشعور بالمسؤولية ، وعلى السنة الحكام ، الذين فرضوا أنفسهم - بقوة الحديد - أوصياء على ضمائر شعوبهم .. وكلها متفقة على قلب الوقائع التي أقرت بها تجارب الانسانية ، و صرح بها أساطين الفكر المدعور من الهوة التي شارقتها قوافل البشرية في تيهها الخيف ..

أجل .. لقد أثبت التحقيب العلمي المحايد - بشهادة المتتات من كبار خبرائه - أن الحياة لم تزل هي اللغز المغلق بوجه الانسان ، وأن انصرافه إلى استخدام الجهد الذاتي وحده لم يزد له إلا إيقالا في البعد عن أسرارها .. لأنه بذلك حصر طاقاته وراء أسوار المادة ، حتى بات يحين الغرور الذي أفسد عليه حياته ، فهو منها كالعائنص في المستنقع اللثق ، كل خطوة يحركها طلباً للخلاص ، تدفعه إلى مزيد من الهبوط .. و ليس في هذا جديد علينا نحن تلاميذ القرآن الذي نقرأ فيه توجيه الله لنبيه المصطفى ﷺ : (قل : إن ضللت فأنما أضل على نفسي ، وإن اهتديت فيما يوحى إلى ربي) فكل انفصام للانسان عن نور الوحي مؤديه إلى الضلال .. و ما الضلال سوى جماع الشقاء .

و إنه لمن المؤسف المذيب بالنسبة إلينا نحن أهل الاسلام أن مقدراتنا الفكرية قد سلطت عليها الأيدي الملوثة ، التي غسلت أدمغتها في محاضن المبشرين والمستشرقين و الشيوعيين ، الذين صمموا على تدمير كياناتنا الروحي ، لتجريدنا من كل قدرة على المقاومة ، كي نظل بمجموعات هائمة من الامعات الدائرة في أفلاك الأعداء ..

ففي جامعة الكويت مثلاً يحشد (مذبذب) من المختصين في لعبة التضليل ، يتبارون أمام جمهور من النظارة لا يملكون سوى حق الاستماع والتصفيق أمام هجمات اللاعبين على دينهم و قيمهم و تراثهم و حضارة أممتهم .. و قد تقاسم

الذين ينطحون بقرونها جبل الاسلام

فضيلة الشيخ محمد المجذوب

المدرس بالجامعة الاسلامية المدينة المنورة

في كتاب (الانسان .. ذلك المجهول) للطبيب الفيلسوف الكسيس كاريل اتهم خطير موجه للحضارة الغربية بأنها أفسدت طبيعة الانسان ، فسربت الحلل إلى تركيبه النفسي و العضوي .. فهو يؤكد ما ذهب إليه (س و بيرس) في إحصائه العلمي أن واحداً من كل ٢٢ شخصاً في نيويورك يجب إدخاله مستشفيات الأمراض العقلية .. وذلك علاوة على مئات الألوف ممن لم تشملهم الاحصاءات الرسمية .. ثم ينتهي إلى الحكم بأن هذه الأرقام إنما تدل على مدى استعداد شعور الانسان المتحضر للعطب .. ، إلى أن يقول : إن الحياة العصرية تخفي نقصاً جوهرياً ، ففي البيئة التي خلقتها تكنولوجيتنا تنمو وظائفنا النوعية نمواً غير متكامل .. فتميل الشخصية البشرية إلى التحلل (١) .

ثم يجي نيكسن - رئيس الولايات المتحدة - ليؤكد هذه الحقيقة الرهيبية بقوله : (نحن أقوى أمة في العالم .. ولكن أمراضاً خفية تلهمنا من الداخل ..) وطبعي أن وراء هذه الاقرارات العلمية صورة حية لواقع النفس الغربية ، التي بلغت قمة الشقاء حين ألقت بكل ثقلها على العقل التكنولوجي وحده .

و المفكر المؤمن ، الذي يعي هذه الحقائق بعقله السليم ، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الدهشة و الأسي ، و هو يستمع إلى هاتيك الصيحات المسعورة تصاعد من هنا و هناك ، في الصحف التي تحللت من المسؤولية الخلقية ، و في

(١) ص ١٧٨ - ١٨٢ منشورات مؤسسة المعارف - بيروت .

اللاعبون جوانب الحلبة ، بحيث لم يدعوا جانباً سليماً من تشويهِاتهم ، ثم ينفصون وقد حققوا من الأغراض ، التي رسمت لهم ما يستحقون معه تهنئة كل مخدر أعطي ولاه لغير أمته ، و سجل اتهامه لكل مذهب هدام ..

وفي هذا الجو الذي حلا للعاشين ، فراحوا يجربون سهامهم في كل اتجاه ، كالسكران الضرب الذي راح يصول و هو يقول : أنا أعشى ما بشوف ، أنا ضراب السيوف ، أتبع لنديم البيطار و جلال العظم و شاكر مصطفى و بقية مثلي السرك أن يقذفوا بكل ما عجزوا عن تفرغته في المناسبات السابقة ...

و الفضل في هذا كله عائد للجامعة ، التي أحست أن تثبت أنها تحقق مبدأ (عدم الانحياز) في نطاق العلم ، كأنه في نطاق السياسة ، فلا ترضى أن تتقيد بدستور بلدها الذي ينطوي على كلمة الاسلام في أكثر من موضع ، ومن أجل ذلك لم تفسح المجال لأي (دكتور) مسلم يعلن رأى الاسلام في ذلك الحفل .

و كأن ثمة توقيتاً متعمداً وراء هذا التحدى ، يقضى بظهوره متلاحقاً في مختلف الثغرات ، كما يحدث عادة في ألقام المخربين ، حين يزرعونها في عدد من الأماكن ، فإن يحين موعد انفجار أحدها حتى تتوالى الانفجارات هنا وهناك ، لتزيد في البلبلة ، و تشتت جهود حراس الأمن ، فلا يدرون ما يعملون ، و لا أين يبدأون ..

ففي دمشق و تونس و المغرب و القاهرة ... تنمات ذات دلالات لسلسلة المتفجرات ، تتفاوت أساليبها بعض الشيء و لكنها تتفق في غاياتها البعيدة ..

وهي خلخلة الصف ، وإثارة انشقاق ، و الارهاب المخطط لحلة الفكر الاسلامي .

أما دمشق فقد وقف سفهاؤها عند الحدود المعبودة من سب الله و الاسلام و النبيين ، وإن كانت الوقاحة هذه المرة قد تجاوزت الرقم السياسي ، إذ سجلت

هذا السباب على رسم امرأة فاجرة ، غطيت سواتها باسم الله و النبيين ، إعراباً عن مدى استخفاف أولئك الأشقياء بمشاعر الامة ، التي لا يريدون لها أن تستجمع قوتها لمقابلة العدو ، الذي يجثم على أربعين كيلا من عاصمة الاسلام اشانية ... و كان أخرى بأولئك السفهاء نشر وقاحتهم على السطوح ، كما تفعل القطط المؤدية ، و اكنهم أبوا لها مكاناً إلا صدر المجلة الرسمية ...

وفي المغرب يغير ملاحدة الشيوعية على مساجد المسلمين ، في حرم المؤسسات العلمية ، فيجعلونها طعاماً للنار ، ليشعلوا البلد بفتنة أهلية ، لا يعلم مدى أخطارها إلا الله ثم الذين خططوا لها في موسكو أو كوبا أو الصين أو ...

وأما في تونس ، التي سبق مجاهدتها الأعظم سافر الأقطار العربية ، إلى المهجوم على التشريع الاسلامي الوحيد الذي أبقى عليه الاستعمار الصليبي في نطاق الأحوال الشخصية ، فألقى تعدد الزوجات ، الذي هو الصمام الذي يتنفس من خلاله المضطرون إلى التعدد ، حماية لأنفسهم وذراريهم وبيئاتهم من وباء الفجور ، فيجرهم برغمهم إلى إفساد الحياة العائلية باتخاذ الخليلات ، على طريقة المجتمع الغربي ، الذي يتعامل من كابوس الكنيسة ، التي حرمت عليه التعدد ، وفسحت له مجالات الزنا ، حتى امتلأت أرضهم بالمواليد غير الشرعيين ... وحتى بدأت ترتفع من داخل مجامع الكنسية نفسها أصوات تنادى بوجوب العودة إلى القانون الفطري ، الذي لا سبيل غيره لوقف ذلك الوباء الكاسح ..

ولم يكتف ببدعته الجريئة تلك ، حتى عمد إلى العبادات فدعا العمال إلى إلغاء الصيام ، تحقياً للبدأ الماركسي . الذي يعتبر صوم المسلمين تعطيلاً لعجلة العمل ، فيتخذ من ذلك ذريعة للتشهير بهذا الدين ، الذي عجز السفهاء عن الادراك لحكمته ، اغتراراً بما أحرزوه من تقدم في ميدان الصناعة ، أو مهمهم أنهم أعلم من الله

وأنيابته بشئون عباده وتقدير حاجاتهم ، التي لا يحيط بها غير الذي أبدعها ..
ولما رأى (المجاهد الأعظم) نجاح خطواته الأولى في زعزعة العقيدة
و سكوت الشعب المقهور عن معارضته ، شمر للرحلة الكبرى ، وراح يعان
من على منبر (الملقى الدولي حول الثقافة الذاتية والوعي القومي) ما لم يجرؤ
على إعلانه من قبل لاماني و زويمر و ماسيبيون .. وبقية العصابة الحاكمة من
أساطين المضالين ، الذين يسمون أنفسهم بالمبشرين ، و من وراهم من الصهاينة
و قروم المستعمرين ..

ثم تأتي مذبحه الكلية الحربية في القاهرة بادرة جديدة من التصميم على
تفتيت القرية ، التي بدأت خطوات العردة إلى الله ..

لقد هال مدبري هذه المجزرة ما رأوه من تصحيح لمفاسد العهد البائد ،
و إطلاق لأصوات الحرية التي حنقها الطغيان ، و استعادة لذاتية الشعب ، التي
طال عهدا بالكبت ، حتى أوشك الفرد المصري ، بل العربي ، أن يسترد ثقته
بالحكم ، فيبذل قصاره لحراسته ، إيماناً بالحرية و الشورى اللتين هما قوام
الامن و ملاك القوة التي لا تقهر . لقد هالهم أن يشهدوا هذا التحويل المزلزل
لمعاقل الاستبداد ، فإذا هم يدفعون عمالهم إبداء معركة التخريب ، فتساقط الضحايا
من الشباب الذين فوجئوا بقذائف الغدر تحصدهم ، و هم غارقون في غمرات
الاستعداد لاستكمال وسائل النصر ..

و انكشفت المؤامرة عن تخطيط لا يستهدف فقط مجرد الاغتيال ، بل
يريد أن يجهز على كل تحرك إسلامي ، وذلك باختيار منفذيها من الشباب الذي
نشأ على روح الاسلام المزور ، الذي سمعته الديكتاتورية ، تلك التي كانت
تقتل دعاة الاسلام بقرارات متوجة باسم الله ، و تصادر أموال الكادحين باسم

الاشتراكية الاسلامية ..

بلى .. إنها لخملاط مركزة ، لم تقارب مواقيتها بمجرد الصدفة ، بل
بالاعداد الطويل ، و التحالف المنظم للقضاء على اليقظة الاسلامية ، قبل أن تشق
طريقها إلى مراكز التوجيه .. وقد ثبت ذلك من القرائن التي أعدت مسبقاً في
جزيرة الكلية الحربية ، لتوجيه التهمة إلى العناصر الاسلامية ، ليس في مصر
وحدها فقط ، بل في أقطار أخرى أيضاً .. كي يتاح لأعداء الاسلام فرصة
جزيرة جديدة تسوق ضحاياها الجدد إلى برائن الجلادين ، الذين لم يرتووا بعد
من دم الأبرياء ، على كثرة ما جرعوا منه ...

و أخيراً .. إن المفكر المسلم ليحار ، بازاء هذه الغارات الكثيرة ، التي
يشنها خصوم الاسلام عليه ، أيها أحق بالتنفيذ ، و أيها أجدر بالازدراء . فقد
و الله : تكاثرت الظلم على خراش فما يدرى خراش ما يعيد .
و لكننا ان نكون معذورين أمام الله إذا لم نقل كلمة الحق في وجوه
هؤلاء المعتدين على الحق :

والحق عرض الله . كل آية بين النفوس ، له حمى و وقاء

إن الاطار العام الذي يضم هذه العناصر الباغية ، على اختلاف دوافعها
الخلقية ، من صليبية و شيوعية و باطنية و تبعية سياسية ، إنما هو الجهل المطلق
بهذا الدين الذي يضربون رؤوسهم بصخرته ، فيكسرون قرونها ، و يفضحون
أنفسهم ، و يبقى الاسلام في طريقه زاحفاً إلى القلوب و العقول ...

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يهنها و أوهى قرنه الوعل

لقد أثبتت ندوة (المنتخب) الهدام في جامعة الكويت أن كل ما يملكونه
من أفكار لا يزيد عن كونه فتناً غير نقي من موائد الحاسدين .. و كان في

وسع كل سامع و قارىء لجلالتهم المسعورة أن يعود لما كتبه هؤلاء - من مبشرين و مستشرقين و أفاكين - في الطعن على دين الله فيستغنى بالأصل عن التقليد ، و بهما لغة الكفر عن أقرانه ...

و لقد تكرر ذلك الافك ، و تكرر تفنيده بأقلام المفكرين الاسلاميين ، حتى بات من الهوان أن يجد من يصغى إليه في العالم الاسلامي ... اللهم إلا أولئك الذين غسلت أدمغتهم من آثار الاسلام ، و انقطعت صلاتهم بمنابع الوحي ، فتعطلت أجهزة تفكيرهم ، وطمس على بصائرهم ، فلهم آذان لا يسمعون بها ، و لهم أعين لا يبصرون بها ، و لهم قلوب لا يفقهون بها ... و حسبنا مع ذلك المنتخب ما عرفه القاصي و الداني من أنهم ليسوا من هذه الأمة في شئ ، لأنهم أعطوا و لاهم إلى أعدائهم ، فلا عمل لهم سوى الاجهاز على بقية قبمها ، ليركوها نهياً لكل غاز ، و صدى لكل ناعق ...

أما (المجاهد الأعظم) فأمره مختلف ، لأنه لا يتكلم باللسان الاكاديمي الذي غر أولئك السفهاء ، بل بلسان السلطة التي يستطيع بها قطع الألسن و تكبيل الأيدي و خنق الأنفاس و اغتيال المعارضين ... و لهذا لا نرى بدأ من وقفة قصيرة على تلك المدعيات الصليبية اليهودية ، التي تطوع لنقلها إلى المؤتمر ، و التوكيد على أفرادها بالتركيز عليها في عملهم التربوي ...

[يتبع]



دراسات وأبحاث

برقى

★ الرد على الملل و الفرق غير الاسلامية
و مقاومة عقائدها و تقاليدها و تأثيرها

الرد على الملل و الفرق غير الاسلامية

و مقاومة عقائدها و تقاليدها و تأثيرها

تعريب : سعيد الأعظمي الندوي

لا يخفى أن الامام ابن تيمية أدى خدمة جليلة في مجال انتقاد الديانات و العقائد غير الاسلامية بأسرها ، و قضى معظم حياته في هذا الجهاد العلمي ، و قد لا يحلو مؤلف من مؤلفاته من البحوث و المناظرة الكلامية ، إلا أننا نختار من بين هذه الديانات و الفرق التي قاومها ابن تيمية ديانة و فرقة (المسيحية و الشيعية) و ذلك لأنه اختصهما بالنقد و التحقيق و أفرد لكل واحدة منهما كتابين مستقلين لهما قيمتهما وأهميتهما ، و هما « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » و « منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة و القدرية » كما أن بين هذه الديانة و تلك الفرقة مناسبة لطيفة و قيماً مشتركة ، تلك التي يشير إليها الحديث النبوي الذي خاطب فيه علي بن طالب رضي الله عنه ، و هو قوله **عليه السلام** : « يهلك فلك اثنان محب غال و مبغض » و لسبب ثالث ، و هو أن المسيحية و الشيعية بمختلف فروعها و أنواعها هما اللتان كانتا الفرق و الديانات الحية النشيطة في العصر الذي عاش فيه ابن تيمية ولعل ذلك ما بعث ابن تيمية على تركيز اهتمامه في هذين المذهبين و وضع كتب مستقلة لتفرد بهما .

الرد على المسيحية

حركة المسيحية الجديدة في العالم الاسلامي : انتهت المذاهب و الديانات الأخرى في الدول الاسلامية مع انحطاط المسلمين السياسي و جددت مضامعها ،

و كانت المسيحية هي أنشط الديانات من بين هذه الديانات و المذاهب كلها في إبداء الجريمة و التغلب على غيرها ، فقد وجد لاتباعها عدد وجيه آنذاك في العالم الاسلامي ، سيما في مصر و سوريا ، و بالأخص كانت سلسلة من الدول المسيحية متصل بأرض الشام ، و تسمى ثغور المملكة المسيحية الكبرى (مملكة قسطنطينة) .

و معلوم أن أوروبا بدأت هجمات متتابعة على الشام و فلسطين في أواخر القرن الخامس الهجري ، و هي التي تعرف بالحروب الصليبية في التاريخ ، و في خلال ذلك حرم المسلمون جزءاً كبيراً من الشام ، و ظل القدس تحت سيطرة المسيحيين و ولايتهم طوال تسعين سنة ، و بالرغم من أن السلطان صلاح الدين الأيوبي كان قد هزم المسيحيين في ساحة حطين هزيمة منكرة و استرد القدس من أيديهم إلا أن دولة مسيحية لم تزل موجودة على ساحل الشام ، و كانت همة المبشرين المسيحيين و علمائهم ارتفعت بالفتح الصليبي حتى إنهم كانوا يحملون بالاستيلاء على الشام و إقامة دولة مسيحية تحت ظلال الصليبية فيها ، إن هجمات التتر المتتالية كانت قد أضعفت المسلمين و بعثت قوة و همة في المسيحيين ، و قد تحدثنا في الجزء الأول من هذا الكتاب أن التتر عندما دخلوا الشام منذصرين في عام ٦٥٨ هـ استقبلهم المسيحيون خارج المدينة ، و قدموا لهم الهدايا ، و قد كانوا رافعين صلباناً على رؤسهم و يقولون : قد غلب الدين الحق ، دين يسوع المسيح (١) .

تأليف « الجواب الصحيح » : كانت المناظرة بين علماء المسيحية و القسسين و بين المسلمين تدور حيناً لآخر ، و يرد علماء المسلمين على إيراداتهم و يفضحون

(١) و للاطلاع على التفصيل راجع الجزء الأول من هذا الكتاب .

مواضع الضعف في الديانة المسيحية ، ولكن الذي استرعى انتباه ابن تيمية إلى هذا الموضوع و جعله موضع اهتمامه الخاص هو أن مؤلفاً جديداً للمسيحيين في المناظرة وصل من قبرص إلى الشام حاول فيه مؤلفه إثبات المسيحية وإثبات عقائدها من طريق العقل والنقل ، كما أنه بذل قصارى جهده في إثبات أن بعثة الرسول ﷺ لم تكن عامة وإنما كانت تخص العرب وحدهم ، و لذلك فإن المسيحيين لم يكفوا الايمان به ، يبدو أن هذا الكتاب نال أهمية كبرى في أوساط الشام العلية و الدينية .

إن أصاح رجل للرد على هذا الكتاب هو الذي يتمتع بنظر عميق واسع في الفلسفة و علم الكلام و العقائد و الفرق في جانب و في جانب آخر يطالع على صحف العهد القديم و العهد الجديد (بائبل) و على تاريخ المسيحية اطلاقاً كاملاً ، فالنسبة إلى هذه الناحية لم يكن هناك أي عالم أصاح من ابن تيمية لهذا العمل في ذلك العصر ، فتصدى للكتابة في هذا الموضوع و ألف كتاباً باسم « الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح (١) » ، في أربعة مجلدات ، لا يتميز في هذا الموضوع فحسب بل إنه يحتل مكانة ممتازة بين سائر مؤلفات ابن تيمية ، يدل هذا الكتاب على سعة نظره و تنوع دراسته و اطلاعه الواسع العميق على تاريخ الديانات و الصحف السابقة ، إنه لم يكتف فيه بأسلوب الدفاع و التزكية ، بل إنه هاجم على أسس المسيحية ، و لم يعتمد في إثبات النبوة المحمدية على الدلائل القديمة المصطلحة التي تنسب بها كتب علم الكلام و مناظرة الفرق ، بل إنه جاء ببراهين جديدة تؤثر في النفس و تبعث الايمان في القلوب و تضطر كل

(١) هذا الكتاب يقع في ١٣٩٥ صفحة ، طبع في مصر في عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٥ م) باهتمام الشيخ فرج الله زكي الكردي و الشيخ مصطفى قباني الدمشقي .

رجل منصف عاقل إلى الاعتراف بالحقيقة ، كما أنه شحن هذا الكتاب بمواد غزيرة لتاريخ المسيحية و علم الكلام المسيحي ، وإيرادات علماء المسيحية و تعبيراتهم و تأويلاتهم ، و بذخيرة كبرى من بشارات البعثة المحمدية و دلائل نبوة النبي ﷺ و نبواته لا توجد مجتمعة في أي كتاب آخر ، بل يحتاج المرء للاطلاع على مثلها إلى عملية تنقيب واسعة في مكتبة كبيرة ، و لقد صدق الشيخ محمد أبو زهرة عالم مصر الفاضل عندما قال عن هذا الكتاب :

« و إن هذا الكتاب أهدأ ما كتبه ابن تيمية في الجدل ، وهو وحده جدير بأن يكتب ابن تيمية في سجل العلماء العاملين و الأئمة المجاهدين و المفكرين الخالدين (١) » .

و في الصفحات التالية نقوم باستعراض إجمالي لهذا الكتاب لكي نقدم مائخاً منه تتضح به وجهة نظره و تجلي فيه روح الكتاب .

المسيحية مجموعة لتعاليم سيدنا المسيح و الوثنية الرومانية : إن معظم العلماء المسلمين و المؤلفين الذين تصدوا للرد على المسيحية و نقدها ، و حاولوا الكتابة حولها كانوا جاهلين بتاريخ المسيحية ، إنهم زعموها مجموعة لأقوال و أحوال سيدنا المسيح و بحثوا فيها كدين سماوي ، فأكرموا بما لم تكن جديرة به ، أما ابن تيمية فإنه يطلع على تاريخ المسيحية و نموها التدريجي و تغيراتها و لا يبجمل حقيقة أن المسيحية الموجودة في عصره إن هي إلا مجموعة لتعاليم سيدنا المسيح و عقائد الروم و اليونان المشركة و تقاليدهم ، و علم الأصنام ، و لذلك فإنه لا يقع فريسة الخطأ التاريخي الذي يقع فيه العامة من النقاد ، و يتناول المسيحية الحاضرة بالنقد و الرد عليها بكل جرأة و شجاعة ، إنه بقول :

(١) ابن تيمية لمحمد أبي زهرة ص ٥١٩ .

« و كان الروم و اليونان و غيرهم مشركين يعبدون الهياكل العلوية والاصنام الارضية ، فبعث المسيح عليه السلام رسله يدعوهم الى دين الله تعالى فذهب بعضهم في حياته في الارض و بعضهم بعد رفعه الى السماء فدعوهم الى دين الله تعالى فدخل من دخل في دين الله واقاموا على ذلك مدة ثم زين الشيطان لمن زين له ان يغير دين المسيح فابتدعوا ديناً مركباً من دين الله و رسله دين المسيح عليه السلام و من دين المشركين (١) . »

و يقول في مكان آخر :

« ولكن النصارى ركبوا ديناً من دينين من دين الانبياء الموحدين ودين المشركين فصار في دينهم قسط مما جاءت به الانبياء وقسط مما ابتدعوه من دين المشركين في اقوالهم و افعالهم كما احدثوا الفاظ الاقانيم و هي الفاظ لا توجد في شئ من كلام الانبياء ، و كما احدثوا الاصنام المرقومة بدل الاصنام المجسدة و الصلاة الى الشمس والقمر والكواكب بدل الصلاة اليها والصيام في وقت الربيع ليجمعوا بين الدين الشرعي و الامر الطبيعي (٢) . »

المسيحية الحاضرة من وضع عهد قسطنطين : و يتقدم خطوة و يعتقد ان المسيحية اصبحت بتحريف وتغيير اكبر في عهد الملك قسطنطين ، الذي كان ملك الروم الشهير في القرن الرابع الميلادي ، و الذي هو مؤسس المملكة المسيحية الاولى ، و ذلك عدا ذلك التحريف الذي دخل المسيحية في بدء عهدها أيام البولس ، يقول :

« النصارى تضع لهم عقائدهم و شرائعهم اكبرهم بعد المسيح ، كما وضع

(١) الجواب الصحيح الجزء الاول ص/ ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) الجواب الصحيح الجزء الثالث ص/ ١٩٩ .

لهم الثلاث مائة و ثمانية عشر الذين كانوا في زمن قسطنطين الملك الامانة التي اتفقوا عليها و لعنوا من خالفها من الاربوسية و غيرهم ، و فيها امور لم ينزل الله بها كتاباً بل تخالف ما انزله الله من الكتب مع مخالفتها للعقل الصريح (١) ، و في موضع آخر :

« لم يقولوا ما قاله المسيح و الانبياء بل ابتدعوا اعتقاداً لا يوجد في كلام الانبياء فليس في كلام الانبياء لا المسيح و لا غيره ذكر اقانيم لله لا ثلاثة و لا اكثر و لا إثبات ثلاثة صفات و لا تسمية شئ من صفات الله ابناً لله و لا رباً و لا تسمية حياته روحاً ، و لا ان الله ابناً هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه و أنه خالق كما ان الله خالق إلى غير ذلك من الأقوال المتضمنة لأنواع من الكفر لم تنقل عن نبي من الانبياء (٢) . »

المكانة الصحيحة للأنجيل : أخطأ بعض علماء الاسلام فوضعوا الانجيل في بحوثهم بازاء القرآن والصحف السماوية الاخرى ، واعترفوا بأنه كتاب سماوي كسائر الكتب السماوية بتأثير من دعاوى العلماء و المبشرين المسيحيين ، و لقد كان ذلك خطأ أساسياً ناتجاً عن مجرد الجهل بتاريخ العهد الجديد ، أما الامام ابن تيمية فإنه يحل الانجيل في محله الذي يستحقه . إن قيمة الصحف الأربع للانجيل عنده لا تعدو قيمة كتب السيرة والحديث العامة في أي حال ، يقول :

« إن هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الانجيل وقد يسمون كل واحد إنجيلاً إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح فلم يذكروا فيها أنها كلام الله ولا أن المسيح بلغها عن الله بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح و أشياء من أفعاله ومعجزاته و ذكروا أنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه و رأوه فكانت من جنس

(١) الجواب الصحيح الجزء الاول ص/ ١١٨ . (٢) الجواب الصحيح الجزء الثالث ص ١٢٤ .

ما يرويه أهل الحديث و السير و المغازي عن النبي ﷺ من أقواله و أفعاله التي ليست قرآناً فالانجيل التي بأيديهم شبه كتاب السيرة و كتب الحديث (١) ،

و يقول في موضع آخر :

« و أما الانجيل الذي بأيديهم فانهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح عليه السلام و لا أملاه على من كتبه و إنما أملاه بعد رفع المسيح متي و يوحنا و كانا قد صحبا المسيح و لم يحفظه خالق كثير يبلغون عدد التواتر ، و مرقس و لوقا و هما لم يريا المسيح عليه السلام و قد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح و بعض أخباره و أنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله و أفعاله ، و نقل اثنين و ثلاثة و أربعة يجوز عليهم الغلط لا سيما و قد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب (٢) . »

لا يتحدث عن الانجيل وحده بل يقول عن التوراة أيضاً :

« أما التوراة فان نقلها انقطع لما خربت بيت المقدس أولاً و أجلى منه بنو إسرائيل ، ثم ذكروا أن الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له عازر و زعموا أنه نبي و من الناس من يقول إنه لم يكن نبياً و إنها قوبلت بنسخة وجدوها عتيقة ، و قيل إنه أحضرت نسخة كانت بالمغرب و هذا كله لا يوجب تواتر جميع ألفاظها و لا يمنع وقوع الغلط في بعضها كما يجري مثل ذلك في الكتب التي بلى نسخها و مقابلاتها و حفظها القليل الاثنان و الثلاثة (٣) ، »

و يستنتج في الأخير بقوله : « ليس مع النصارى نقل متواتر عن المسيح بألفاظ هذه الاناجيل و لا نقل متواتر و لا آحاد بأكثر ما هم عليه من

(١) الجواب الصحيح الجزء الثاني ص/١٠ . (٢) أيضاً الجزء الأول ص/٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٣) أيضاً ص/٣٦٨ .

الشرائع و لا عندهم و لا عند اليهود نقل متواتر بألفاظ التوراة و نبوات الأنبياء كما عند المسلمين نقل متواتر بالقرآن و بالشرائع الظاهرة المعروفة للامة و الخاصة (١) . »

ويتحدث عن الفرق بين القرآن و التوراة و الانجيل فيقول : « إن المسلمين تواتر عنهم عن نبيهم ألفاظ القرآن و معانيه المجمع عليها و السنة المتواترة ، و عندهم عن نبيهم أخبار كثيرة معلومة الصدق بطرق متنوعة كتصديق الأمة المعصومة و دلالة العادات و غير ذلك ، و هم يحفظون القرآن في صدورهم لا يحتاجون في حفظه إلى كتاب مسطور فلو عدت المصاحف من الأرض لم يقدح ذلك فيما حفظوه ، بخلاف أهل الكتاب فانه لو عدت نسخ الكتب لم يكن عندهم به نقل متواتر بألفاظها إذ لا يحفظها إلا قليل لا يوثق بحفظهم ، فلماذا كان أهل الكتاب بعد انقطاع النبوة عنهم يقع فيهم من تبديل الكتب إما تبديل بعض أحكامها و معانيها و إما تبديل بعض ألفاظها ما لم يقوموا بتقويمه ، ولهذا لا يوجد فيهم الاسناد الذي للمسلمين و لا لهم كلام في نقلة العلم و تعديلهم و جرحهم و معرفة أحوال نقلة العلم ما للمسلمين (٢) . »

التحريف في الاناجيل : يشتهر عن ابن تيمية بوجه عام أنه لا يقول بالتحريف

اللفظي في التوراة و الانجيل ، إلا أن دراسة هذا الكتاب تنفي هذا الظن ، أما حقيقة ما يقوله ابن تيمية هي أنه يؤكد مراراً و تكراراً أن الناس كلهم متفقون على وقوع التحريف المعنوي ، و بما أن علماء اليهود و النصارى يقولون بالتحريف المعنوي عنده يعتمد على ذلك في استدلالاته ، و يقدمها بازاء علماء اليهود و النصارى ، إنه يقول في إحدى المناسبات :

(١) المصدر السابق ص/٣٧٢ . (٢) أيضاً الجزء الثاني ص/١٢-١٣ .

« و إذا عرف أن جميع الطوائف من المسلمين و اليهود و النصراني
يشهدون أنه قد وقع في هذه الكتب تحريف ، و تبديل في معانيها و تفاسيرها
و شرائعها ، فهذا القدر كاف (١) . »

و يقول في مناسبة أخرى :
« ولكن علماء المسلمين و علماء أهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف
في المعاني و التفسير (٢) . »

و لكن هل وقع تحريف في ألفاظ التوراة و الانجيل ؟ فانه لا يوافق
على أن هذه الكتب محرقة من أولها إلى آخرها ، وليست فيها ألفاظها الأصلية
يقول : « ثم زعموا أن المسلمين يدعون أن ألفاظ هذه الكتب حرفت كلها
بجميع لغاتها بعد مبعث محمد ﷺ ، و هذا القول لم يقله أحد من المسلمين
فيما أعلم (٣) . »

ولكنه يقول بالتحريف الجزئي في هذه الكتب ، بحيث إن ألفاظها قد
بدلت في مواضع عديدة ، و ذلك هو مذهب الجمهور كما يقول :
« فجمهور المسلمين يمنعون هذا و يقولون إن بعض ألفاظها بدل كما قد
بدل كثير من معانيها (٤) . »

و يقول في محل آخر :
« و الصواب الذي عليه الجمهور أنه بدل بعض ألفاظها (٥) . »

إن النصراني لم يفهموا ألفاظ الأنبياء : إنه يعتقد أن السبب الكبير في
ضلال النصراني و منع الفساد الذي تسرب إليهم من التثليث و العقائد المشتركة

(١) الجواب الصحيح الجزء الأول ص/٣٧٦ . (٢) أيضاً ص/٣٨٠ . (٣) أيضاً ص/٣٧٤ .

(٤) أيضاً ص/٣٧٣ . (٥) أيضاً ج/٢ ص/٤ .

إنما يرجع إلى أنهم لم يفهموا كثيراً من ألفاظ الأنبياء عليهم السلام ولا أدركوا
مفاهيمها ، كما قد حرفوا مفاهيم ألفاظ كثيرة ، إنه يقول : « وإن القوم عندهم
من ألفاظ الأنبياء ما لم يفهموا كثيراً منه و ما حرفوا كثيراً منه ، و عندهم
من المعقول في ذلك ما يفضلهم اليهود فيه ، لكن اليهود و إن كانوا أعظم
منهم فهم أعظم عناداً و كبراً و جحداً للحق (١) . »

إنه يضغظ على أن فهم هذه الكتب الساموية و الاستفادة منها بطريق
صحيح يتطلب فهم لغات الأنبياء و مصطلحاتهم ، يقول :

« إن معرفة اللغة التي خاطبنا بها الأنبياء و حمل كلامهم عليها أمر واجب
متعين ، و من سلك غير هذا المسلك فقد حرف كلامهم عن مواضعه و كذب
عليهم و افترى (٢) . »

و نتيجة لذلك وقع خطأ عظيم في فهم معاني « ابن ، و « روح القدس »
و ظهرت عقيدة التثليث .

المفهوم الصحيح للألفاظ : إنه يقول :

« فأهل الكتاب نقلوا عن الأنبياء أنهم تكلموا بلفظ الأب و الابن ،
و مرادهم عندهم بالأب الرب ، و بالابن المصطفى المختار المحبوب ، و لم ينقل
أحد منهم عن الأنبياء أنهم سموا شيئاً من صفات الله ابناً ، ولا قالوا عن شئ
من صفاته أنه تولد عنه و لا أنه مولود له ، فإذا وجد في كلام المسيح عليه
السلام أنه قال عمدوا الناس باسم الأب و الابن و روح القدس ثم فسروا
الابن بصفة الله القديمة الأزلية ، كان هذا كذباً بينا على المسيح حيث لم يكن
في لغته أن لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة الأزلية ، و كذلك إذا لم يكن
في كلام الأنبياء أن حياة الله تسمى روح القدس و إنما يريدون بروح القدس

(١) الجواب الصحيح الجزء الثاني ص/١٠٩ . (٢) أيضاً الجزء الأول ص/١٨١ .

ما ينزله الله تبارك و تعالى على الانبياء و الصالحين و يؤيدهم (١) .
و يقول في موضع آخر حيث يخاطب النصارى :

• إنكم إنما ضللتكم بعدواكم عن صريح كلام الانبياء و ظاهره إلى ما تأولتموه عليه من التأويلات التي لا يدل عليها لفظه ، لا نصاً و لا ظاهراً ، فعدلتكم عن المحكم و اتبعت المشابهة ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله ، فلو تمسكتكم بظاهر هذا الكلام لم تضلوا ، فان الابن ظاهره في كلام الانبياء لا يراد به شئ من صفات الله بل يراد به وليه و حبيبه ونحو ذلك ، و روح القدس لا يراد به صفته بل يراد به وحيه و ملكه و نحو ذلك ، فعدتكم عن ظاهر اللفظ و مفهومه إلى معنى لا يدل عليه اللفظ البتة (٢) .

كلمتا « ابن » و « روح القدس » مشتركتان عامتان :

ثم إنه يثبت من عبارات التوراة والانجيل و النصوص أن كلمتي « ابن » و « روح القدس » لا يختصان بسيدنا المسيح بل طالما استعملتا في حق غيره يقول :
« لفظ الابن و روح القدس قد جاء في حق غير المسيح عندكم حتى الحواريين عندكم ، يقولون إن المسيح قال لهم إن الله أبي وأبوكم وإلهي وإلهكم و يقولون إن روح القدس تجل فيهم ، وفيما عندكم من التوراة أن الرب قال لموسى اذهب إلى فرعون فقل له يقول لك الرب ابني بكرى أرسله يعبدني فان أبيت أن ترسل ابني بكرى قتلت ابنك بكرى ، فلما لم يرسل فرعون بني إسرائيل كما قال الله قتل الله أبكار فرعون و قومه من بكر فرعون الجالس على السرير إلى الأول من أولاد الآدميين إلى ولد الحيوان إليهم فهذه التوراة تسمى بني إسرائيل كلهم أبناء الله و أبكاره و تسمى أبناء أهل مصر أبناء فرعون ويتوسع قسميه سخال الحيوان أولاد المالك للحيوان ، وفي مزامير داود يقول أنت ابني سألني أعطك ، و في الانجيل يقول عن المسيح أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي و إلهكم وقال إذا صليتم فقولوا يا أبانا الذي في السماء قدوس اسمك افعل بنا

(١) الجواب الصحيح الجزء الثالث ص/ ١٨١ ، ١٨٢ . (٢) أيضاً ص/ ١٥٥ .

كذا و كذا ، و يقولون عن القديسين إن روح القدس يجل فيهم (١) .
وهكذا فانه أثبت بالدلائل أن الألفاظ التي يستدل بها النصارى على ابنة سيدنا المسيح ، و على الحلول و الاتحاد والالهية إنما جاءت في التوراة والانجيل مراراً و تكراراً لغير سيدنا المسيح ، و أن كل هذه الكلمات كنايةات و مجازات و محاورات ، و في الأخير يستنتج بقوله :

• و جماع هذا أن النبوات المتقدمة والكتب الالهية كالتوراة والانجيل و الزبور و سائر نبوات الانبياء لم تخص المسيح بشئ يقتضي اختصاصه باتحاد اللاهوت به و حلوله فيه كما يقوله النصارى ، بل لم تخصه إلا بما خصه به محمد ﷺ في قوله : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم و روح منه » فكتب الانبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد ﷺ يصدق بعضهم بعضاً ، و سائر ما تستدل به النصارى على إلهيته من كلام الانبياء قد يوجد مثل تلك الكلمات في حق غير المسيح فتخصيص المسيح بالالهية دون غيره باطل و ذلك مثل اسم الابن و المسيح و مثل حلول روح القدس فيه و مثل تسميته إلهاً و مثل ظهور الرب أو حلوله فيه أو سكونه فيه أو في مكانه فهذه الكلمات و ما أشبهها موجودة في حق غير المسيح عندكم و لم يكونوا بذلك آلهة (٢) .

و قد يعرض المسيحي عن هذه المنقولات و يبحث في الأقسام والحلول و الاتحاد عن طريق العقل ، بحيث يحوله إلى بحث فلسفي أو صوفي ، ولكن ابن تيمية تناول هذا الموضوع و أشبعه بحثاً من وجهة النظر الفلسفية ، و بما أن هذا الموضوع مما يخصه وقد بحثه غير مرة بصدد الكلام حول العقائد و وحدة الوجود و علم الكلام ، ينصرف إلى البحث فيه بكامل الانشراح و الاهتمام ، و يثبت أنه ليس كلاماً معقولاً ، بل إنه فلسفة مزعومة ، لا تمت إلى الحقائق و المعلومات بصلة ما (٣) .

(١) المصدر السابق ص/ ١٨٥ - ١٨٦ . (٢) أيضاً الجزء الثاني ص/ ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) و من أراد التفصيل فاليرجع إلى « الجواب الصحيح » ج/ ٣ ص/ ١١٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ٢١٥ .

تعريب : الأخ نور عالم الأمين

قضية الطلقات الثلاث

وما يواكبها من المشكلات

الأستاذ السيد أحمد القادري

مدير مجلة « زندكي » الشهرية - رامفور (الهند)

إن دراستي للكتاب و السنة فيما يتعلق بالنكاح و الطلاق أقتعتني بأن النكاح في الاسلام عقد جاد هادف قائم على أساس أصيل يستحق كل احترام وإعظام ، بعقده المرء ليدق بقاء مستمراً حتى لا يحمله إلا الموت القاطع للأواصر المفرق بين المرء و زوجته ، فهي آصرة يتوقف توطد دعائم المجتمع على توطدها ، و صلاح المجتمع على صلاحها ، و لذلك فالطلاق عمل مبعوض عند الله سبحانه و تعالى ، و إنما يأوى إليه المرء مضطراً حينما تعي جميع الحيل ، و لذلك فإن الاسلام بين الطريق الصحيح لابقاعه ، و هو أن لا يطلق الطلقات الثلاث في وقت واحد و في مجلس واحد وبكلمة واحدة ، بل يفرق بينها لكي يتمكن من التأنى في الأمر و يسهه التحصن من الانقطاع الكلي و النهائي .

و إن دراستي للكتاب و السنة تداني دلالة راجحة على أنه لو حاد المرء عن هذا الطريق الصحيح ، فطلق امرأته - و هو يعلم أنه لو أوقع الطلقات الثلاث في وقت واحد لتقع - في مجلس واحد أو بكلمة واحدة ليقعن دون أى شك ، هذا هو الذي ذهب إليه الأغلبية الساحقة من الأمة المسلمة و هذا هو الأقوى بما يسانده من الدلائل ، و لست أنكر أن الأئمة و رجال العلم الذين يجعلون هذا النوع من الطلاق طلاقاً واحدة لهم دلائل يستندون إليها ،

الفقه الإسلامي

★ قضية الطلقات الثلاث
وما يواكبها من المشكلات

و لكنني لا أكاد أنا أقنع بها ، و حيث إن هذا المقال الوجيز لا يسعه الاستقصاء. للدلائل الموازية والمعاكسة فساكتني باجمال دلائل الجمهور مشيراً إلى الدلائل المعارضة بعض الاشارة .

مقتضى نزول آية الطلاق :

لم يكن هناك في الجاهلية للطلاق والرجوع منه حد أو عد ، و كان للرجل أن يطلق امرأته مآت من المرات ويراجعها قبل أن تنقضي عدتها ، فكان الرجل إذا حاول أن يؤذيها و يضيق عليها الخناق ، كان يطلقها و يراجعها و يطلقها ويراجعها ، فلا هو يعامله معاملة الزوج من زوجته ، ولا هو يسرحها تسريحاً قاطعاً ، مما كانت المرأة مقصودة الجناح مسلوبة القوة و الارادة ، وكان هذا قائماً في فجر الاسلام الأول ، ما دام لم ينزل الله أحكام الطلاق ، فجاء في مؤطأ الامام مالك رحمه الله تعالى ، في « باب الطلاق مرتان » :

« عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان ذلك له ، وإن طلقها ألف مرة ، فعهد رجل إلى امرأته فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها ثم قال : والله لا آويك إلى ولا تحلين لي أبداً ، فأنزل الله تعالى : « الطلاق مرتان ، فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

فحدد الله الطلاق بالثلاث ، كما حدد الرجوع بما قبل الطلقة الثالثة ، أما بعدها فلا ، « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » .

فهذا التفصيل دلنا على أن الآية الكريمة إنما نزلت لتحديد الطلاق بالثلاث والرجوع بما قبل الطلقة الثالثة ، فهذان الأمران هما اللذان تنص عليهما الآية نصاً صريحاً .

ما هو الطريق المرضي لايقاع الطلاق ؟ :

لا نكاد نجد الاجابة الواضحة على السؤال في الآية ، فان كلمة « مرتان » ، إن دلت على شئ فانما تدل على أن لا يطلق المرء امرأته بكلمة واحدة بل بكلمتين فيقول : « طلقتك ، طلقتك » مرتين و كذلك لا نكاد نجد في الآية كلمة تأمر بتفريق المجلس أو تحتمله ، و هذا هو الذي ذهب إليه ابن جرير الطبري و الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ، وهذا هو الذي أيده الامام الرازي — أعنى أن « مرتان » ، إنما تحدد الطلاق الرجعي ولا تدل على تفريق المجلس — كما أن الآية الكريمة من سورة الطلاق « فطلقوهن اعدتهن وأحصوا العدة » ، إنما نصت على أن يطلق الرجل امرأته مراعيأ عدتها حتى يسهل ضبطها ولا تقل و لا تزداد ، أما ما هو الطريق الصحيح لايقاع الطلاق فلم تعرض له الآية . و الواقع أن النبي عليه الصلاة و السلام لو لم يبين لنا هذا الطريق لكان من المستحيل أن نعرفه معرفة صحيحة بالكتاب وحده فبالسنة نستطيع أن نثبت أن الطلاق أثناء الحيض أو إيقاع الطلقات الثلاث بكلمة واحدة معصية ، فليطلق الرجل امرأته في طهر لم يجامعها فيه .

الطلقات الثلاث في مجلس واحد

أو بكلمة واحدة ثلاث أو واحدة :

و لنستشق أولاً من رياض القرآن الكريم علنا نروي غلبنا باستقواء الاجابة على هذا السؤال . . إن الأمر الذي لايدع مجالاً للشك هو أن القرآن الكريم ينص نصاً صريحاً على أن الطلاق الرجعي مرتان ، والطلقة الثالثة تسلب حق الرجوع كلياً ، و أما ما هو الطريق الصحيح لايقاع الطلاق ؟ فانما تزج عنه الستار سنة النبي عليه صلوات الله و سلامه ، بما لا يبقى بعده أي غموض

نعم إن في القرآن تليحاً إلى أن حق الطلقات الثلاث الذي منح الله المرء لو راح يمارسه مرة واحدة ليعوده هذا بضرر عليه و على مصالحه و لا يضر به إلا نفسه حيث تجرف هذه العملية حق رجعتة ، وقد تضمنت هذه الاشارة الآيه التالية من سورة الطلاق ، لا ندري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ، .
فحينئذ لو اعتبرنا الطلقات الثلاث في مجلس واحد طلقة واحدة فما عسى أن يكون معنى ، لا ندري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ، فان جعل الطلقات الثلاث طلقة واحدة لتعطى حق الرجعة بما لا شك فيه .

إن هذه الآيه تنبه المطلق تنبيهاً واضحاً على أن المطلق لو مارس حقه من إيقاع الطلقات الثلاث مرة واحدة فسوف يقاب كفيه على ما صنع و يفيت كل فرصة للتفاهم مع زوجته .

أما أن الطلقات الثلاث في مجلس واحد أو بكلمة واحدة فلم تدل عليه الآيه و لا بشئ من الاشارة ، بل و بعض الأئمة ذهب إلى جواز هذه الثلاث وقد قدم الامام البخارى رحمه الله تعالى آية الطلاق مرتان ، كدليل عليه .

فاذا ما حاولنا الاجابة على هذا السؤال فلا معدى لنا عن اللجوء إلى أحاديث النبي ﷺ ، و آثار أصحابه رضوان الله عليهم ، فانها تحبطنا علماً بأن المرء لو أوقع الطلقات الثلاث في مجلس واحد أو بكلمة واحدة ، ليقع الثلاث - سواء فيه مدنا الحيض و الطهر - ويكون هو قد اقرت المعصية ، ولنأت على بعض التفصيل في القضية :

١- الحديث الذي هو في طليعة هذا الباب هو حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، و إن هذا الحديث يجعل أهمية كبرى من وجهين : أولاً لأنه أول واقع وقع في عهد الرسالة يدلنا على الطريق السوى لإيقاع الطلاق

و ثانياً لأن السائل فيه هو سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، و إليك الواقع بتفصيله .

طلق عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - امرأته طلقة واحدة و هي حائض فجاء سيدنا عمر - رضى الله عنه - إلى رسول الله ﷺ يسأله عن ذلك فقال رسول الله ﷺ : « مره فليراجعها » ، ثم علم النبي ﷺ الطريق الصحيح لإيقاع الطلاق : أنه لو أراد الرجل أن يطلق امرأته ثلاثاً فليقعها بالتفريق في أطهار ثلاثة ، فقال : « ثم ليمسكها (يعنى عبد الله بن عمر) حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسك بعد و إن شاء طلق قبل أن تمس ، .

و لا يغيين عن البال أن تطبيق عبد الله امرأته حائضاً و سؤال عمر بن الخطاب عن ذلك يتضمنان الدلالة على أن أحداً من هذين الرجلين الجليلين من كبار أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام لم يفهم من أى آية من القرآن الكريم أن الطلاق أثناء الحيض معصية .

نعم و بقى السؤال قائماً أنه إذا خرج المرء على أمر النبي ﷺ و تعدها ، فاذا يأمر فيه الشرع الشريف ، وقد أجاب الحديث على السؤال إجابة واضحة ، و قد أورد الامام مسلم رحمه الله هذا الحديث في صحيحه عن طرق متعددة و الحديث تناول أحد جزئيه سرد الواقع و تعليم النبي في صدده ، و قد أسلفناه آنفاً ، أما الجزء الثانى فهو كما يلي :

« فكان ابن عمر إذا سئل عن الرجل طلق امرأته و هي حائض ، يقول : إما أنت طلقتها واحدة أو اثنتين ، فان رسول الله ﷺ أمره أن يراجعها ثم يمهلهما حتى تحيض حية أخرى ثم يمهلهما حتى تطهر ثم يطلقها قبل أن يمسها ، و إما أنت طلقتها ثلاثاً ، فقد عصيت ربك فيما أمرك به من طلاق امرأتك

و بانك منك - و في رواية أخرى : و إن كنت طلقته ثلاثاً فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك و عصبت الله فيما أمرك من طلاق امرأتك .
 و قد سرد هذه الفتوى التي أفتى بها ابن عمر بطولها الامام البخاري في تعليقات صحيحه . . فدلنا هذا الحديث دلالة صارخة على أنه إذا ما طلق المرء امرأته ثلاثاً مرة واحدة وهي حائض تكون هذه الثلاث بائنة بنت المرء عن زوجها و تصبح هي محرمة عليه ، و بجانب ذلك دل الحديث على أن ابن عمر بهذا الحكم استمر يفتي الناس ، و قد انفقت آراء رجال الحديث على أن قول صحابي فيما لا مجال فيه الاجتهاد يحمل درجة الأحاديث المرفوعة ، فلا يسوغ لأحد أبداً أن يجعله حسباناً بقول ابن عمر أفتى بهذا الحكم باجتهاد من عنده وظل يفتي بكل حرية ، ثم من حسن المصادفة أن الحديث في ذات الوقت يدل على أن ابن عمر كان يصدر هذه الفتوى على أساس تعليم رسول الله ﷺ فقد جاء في مصنف ابن شيبه و الطبراني و الدارقطني :

« فقلت : يا رسول الله أرأيت لو طلقته ثلاثاً أكان يحل لي أن أراجعها فقال : لا ، كانت تبين منك ، و كانت معصية . »

٢- لقد تناول جميع دواوين الأحاديث سرد حديث عويمر العجلاني فيما يتعلق باللعان ، و أورده البخاري في « باب من جوز الطلقات الثلاث ، و قد جاء في ختام الحديث :

« فلما فرغا قال عويمر : كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها ، فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ . »

ولا بعيننا هنا أن نناقش في أنه هل يفرق نفس اللعان بين المرء وزوجه أو لا بد من القيام بعملية التفريق من القاضي ، و إنما المهم أن نتنبه على أن

عويمر العجلاني قد طلق امرأته ثلاثاً بين يدي النبي في مجلس واحد ، ولم ينكر عليه عمله هذا ، و لم يقل : إن الطلقات الثلاث ملغاة لا تحمّل في ثنائها أثراً و أن الافتراق بين الزوجين لن يتم باللعان وحده ، بل و أنفذ الثلاث بما تصرح به رواية سنن أبي داؤد : « عن ابن شهاب عن سهل قال فطلقها ثلاثاً تطليقات عند رسول الله ﷺ فأنفذه رسول الله ﷺ . »

٣- عن عائشة رضی الله عنها أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فزوجت فطلق ، فسئل النبي ﷺ : أنحل للأول ؟ قال : لا ، حتى يذوق عسبها كما ذاق الأول .

و قد سرد هذا الحديث البخاري كذلك في « باب من جوز الطلقات الثلاث ، ولا يدل هذا الحديث على أن الطلقات الثلاث في مجلس واحد تقع ، بل و إنما يدل كذلك على أن هذه المسألة قد بلغت حتى حدوث هذا الواقع من الرواج والشهرة مبلغاً لم تعد الحاجة إلى الاستيحاء من النبي ﷺ ، ولست أنكر أن الحديث لم يصرح بأن الرجل كان قد طلق الثلاث في مجلس واحد أو في مجلس ، ولكن الذي يسترعى الانتباه هو أن سرد الامام الجليل مثل البخاري هذا الحديث في « باب من جوز الطلقات الثلاث ، ليس دون هدف منشود ، على أن كلمات الحديث يترشح منها أن الثلاث قد أوقعت في مجلس واحد .

٤- « إن رجلاً جاء إلى عبد الله بن مسعود ، فقال : إني طلق امرأتى ثمانى تطليقات فقال ابن مسعود : صدقوا هو مثل ما يقولون ، (موطأ مالك) إن هذا الحديث لم يدل على أن ابن مسعود كان يفتي بهذه الفتوى لحسب بل إنما دل كذلك على أن جميع رجال الفتوى كانوا يفتنون بهذه ليس غير .

٥- يروي نعمان بن أبي عياش الأنصاري عن عطاء بن يسار أن رجلاً

جاء إلى عبد الله بن عمرو بن العاص يسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يجامعها ، يقول عطاء هناك قلت : إنما طلاق الباكرة هو مرة لا غير ، فقال لي عبدالله بن عمرو بن العاص إنما أنت قاص ، الواحدة تبينها ، والثلاث تحرمها حتى تنكح زوجاً غيره . (مؤطاً مالك)

٦- يروي محمد بن أبياس عن بكير أنه طلق رجل امرأته ثلاثاً قبل أن يجامعها ثم بداله أن ينكحها ، فجاء يستفتي بذلك ، وكنت معه فسأل عبد الله بن عباس و أبا هريرة عن ذلك ، فقالا : لا نرى أن تنكح حتى تنكح زوجاً غيرك قال فأتما طلاقاً إياها واحدة ، فقال ابن عباس : إنك أرسلت ما كان لك من فضل ، (مؤطاً مالك)

٧- إن رجلاً قال لعبد الله بن عباس : إني طلقت امرأتى مائة تطليقة فإذا ترى علي ، فقال له ابن عباس : طلقت منك بثلاث ، و تسع و تسعون اتخذت بها آيات الله هزواً ، (مؤطاً مالك)

٨- عن مالك بن الحارث قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إن عمي طلق امرأته ثلاثاً ، فقال : إن عمك عصى الله ، فأثمه الله ، و أطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً ، (شرح معاني الآثار للطحاوي)

٩- عن أنس قال : لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره (شرح معاني الآثار للطحاوي)

١٠- روى وكيع عن الأعمش عن أبي حبيب عن أبي ثابت قال : جاء رجل إلى علي بن أبي طالب ، فقال : إني طلقت امرأتى ألفاً ، فقال له علي بانت منك بثلاث ، (شرح معاني الآثار للطحاوي)

١١- روى وكيع أيضاً عن معاوية بن أبي يحيى ، قال : جاء رجل إلى

عثمان بن عفان ، فقال : طلقت امرأتى ألفاً ، فقال : بانت منك بثلاث ، (شرح معاني الآثار للطحاوي)

١٢- كان فقير - مكاتب أم سلمة رضي الله عنها أو رقيقها - قد طلق امرأته - و كانت حرة - مرتين ثم أراد أن يرتجعها ، فأمرته أزواج النبي ﷺ أن يسأل أولاً عن ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجاء يسأله ، فقال : إن زوجتك قد حرمت عليك ، (مؤطاً مالك)

إن هذه الأحاديث و الآثار قد بينت بهرج العبارة أن الطلقات الثلاث في مجلس واحد أو بكلمة واحدة ثلاث لا غير ، أما الكلام في إسناد هذه الأحاديث و الآثار ، و المباحث بكل تفصيلها في هذه القضية فلا يسعه هذا المقال الموجز ، على أن إعادة هذه المباحث سوف لا تفيدنا شيئاً ، بما أن القضية في مكانها و قد مرت عليها القرون .

و المهم في الواقع المعاصر عند كاتب هذه السطور و الجدير بالامعان و الدراسة أنه إلى أي حد يمكن التوفيق بين المذهب القائل بأن الثلاث في مجلس واحد ثلاث ، و بين المذهب القائل بأنها واحدة . و إلى أي مدى يتجاوب أحدهما مع الآخر .

إن دراسة دلائل المذهبين و جميع المباحث المتعلقة بالقضية جعلتني أتوصل إلى أنه قد وجد الإفراط و التفريط لدى أنصار كلا المذهبين ، و قد أجاب كاتب هذه السطور على الأسئلة التي طرحت في ندوة المناقشة المتعلقة بهذه القضية باجتهاد من عنده في ضوء دراسته المتواضعة و معلوماته القليلة ، متحصناً من الإفراط و التفريط .

و إليك هذه الأسئلة و أجوبتها :

• جمهور فقهاء الامصار على أن الطلاق بلفظ الثلاث حكمه حكم الطلقة الثالثة ، و قال أهل الظاهر و جماعة : حكمه حكم الواحدة و لا تأثير للفظ في ذلك ، (بداية المجتهد باب الطلاق)

ويبدو أن ابن رشد نفسه يرجع المذهب القائل بأن حكمها حكم الواحدة فدلنا التفاصيل على أن دعوى انعقاد الاجماع على كون الثلاث مغالطة في شئ من الغموض .

٤- ج : قد أسلفت في المقال بهرحم العبارة أنه لو طلق المرء امرأته ثلاثاً في مجلس واحد عمداً ، لتقع الثلاث ، و قد بينت في جواب س ١ و س ٢ أنه إلى حد يمكن اعتبار الطلقات الثلاث واحدة .

و لا يجوز عندي أبداً أن تعتبر الثلاث واحدة و قد أوقعها المرء عمداً عارفاً بأن الطلقات الثلاث في مجلس واحد أو بكلمة واحدة تكون ثلاثاً ، وكذلك لو طلق أحد و قال : طلقتك ، طلقتك ، طلقتك (ثلاثاً) ناوياً الثلاث ، فلا يجوز عندي أبداً أن نعتبرها واحدة (١) .



(١) هذه الآراء تخص صاحب المقال ، و ليست تأييداً لمذهب دون مذهب ، وللعلماء أن يدرسوا المسألة بشئ من الامعان والانصاف مع الاشارة إلى المذهب الذي هو أقرب إلى الكتاب و السنة . [التحرير]

١- س : هل تقع الطلقات الثلاث بنفس تكرار كلمة الطلاق أعني يقول المطلق : طلاق ، طلاق ، طلاق ، على حين يقول : إنه لم ينو إلا واحدة؟

١- ج : لو راح المطلق يكرر كلمة طلاق ، طلاق ، طلاق ، وهو لم ينو إلا واحدة و إنما كرر كلمة الطلاق مرتين تأكيداً لكلمة طلاق ، الأولى ، لتقع - فيما أرى - واحدة رجعية لا غير .

٢- س : هناك رجل يطلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد و يهرح بكلمة الثلاث ، أو ثلاثاً ، ثم يقول : إنه قد أخطأ فهمه فانه كان يحسب أن الطلاق لا يقع إلا بكلمة الثلاث ، فكيف يقع ؟ ثلاث ، أو واحدة؟

٢- ج : قد قمت بدراسة هذه القضية دراسة ملحوظة و أمعنت فيها النظر كل الامعان ، فأدتني الأوضاع المعاصرة و الظروف الراهنة إلى أني أرى أنه إذا كان المطلق قد طلق مصرحاً بكلمة الثلاث ، ظاهراً منه أنه لا يقع بدونها الطلاق فلنعتبر هذه الثلاث واحدة .

٣- س : هل انعقد الاجماع على أن الطلقات الثلاث في مجلس واحد تكون مغالطة؟ و إلا فمن هم العلماء و الفقهاء الذين يعتبرون الثلاث في مجلس واحد ، واحدة .

٣- ج : لقد ظلت دعوى الاجماع على كونها مغالطة و الانكار عليها مستمرين منذ القديم حتى اليوم ، و قد أنكر هذه الدعوى كبار الأئمة أمثال ابن حزم ، و ابن تيمية ، و ابن القيم ، و الآن قد أصبحت الأغلبية الساحقة من أهل الحديث ، تنكر الاجماع .

و تدل الكتب التي تناول المذاهب المختلفة و تتعرض لأدلتها المتعاكسة أيضاً على أن هذا الخلاف في هذه القضية منذ القديم ، فيقول ابن رشد :

و كان الفارق الآخر الذي يلبس بين إقبال و شوقي و بين الشعراء الآخرين أنهما كانا لإنتاج الجامعات الغربية ، لكنهما رغم هذا العهد الطويل الذي قضياه في حضن الثقافة الغربية ، و تربية المثقفين الغربيين ، أعرق و أصفى صلة بالشرق و ثقافته ، فجادت قريحتهما بانشاد قصائد لاجيا أمتهما - وإزالة مركب النقص عن قلوب أفراد هذه الأمة الذي علق بطبيعتهم بجراء السلطة السياسية و العلية للغرب ، لأنهما كانا يؤمنان بأن الانسان هو أشرف و أعلى من أن يستعبده إنسان ، فلكل إنسان شخصيته ، و هيئته ، و سر وجوده ، فلا بد لهذا الانسان أن يكتشف شخصيته و يوظف في نفسه إنسانيته و لا يصبح كالانعام فيخدم مصالح الانسان الغربي .

اكتشف الشاعر إقبال أولاً إنسانية الانسان الشرقي الذي وجده خاضعاً للغرب في علمه و ثقافته ، و عقليته ، فبكي على هذه العبودية غير الطبيعية فقال في إحدى قصائده .

« إن الشرق زاخر بالقوة و الانتاج و تبدو من هذا المحيط الهادى موجة قوية تمز العالم و تزلزل أوكار الفساد و الاستبداد .

إن المحكوم الرقيق لا يوثق بأحكامه ، و لا يعتمد على استحسانه و استهجانته ، و إنما الميزان هو الرجل الحر ، و الشعب الحر الذي يعيش حراً ، كريماً ، مستقلاً ، بتفكيره و ميوله ، فان الأحرار هم و حدهم ، أصحاب الفراسة الصادقة ، و البصيرة النافذة و إن رجل الساعة هو الذي شق بهمته الطريق إلى المستقبل ، و لم يقنع بالحاضر ،

ثم يتوجه إلى تأثير الثقافة الغربية ، فيقول :

« لقد نجح المربي الغربي ، الذي برع وفاق في صناعة الزجاج في مهمته ،

في رياض الشعر والأدب

إقبال شاعر الفلسفة الانسانية

الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي

أنجب القرن التاسع عشر في أواخره شاعرين عظيمين ، الشاعر إقبال بالهند ، و الشاعر العربي أحمد شوقي ، و مر كلاهما بأدوار و مراحل تعليمية و ثقافية و اجتماعية مماثلة ، فلم يكن في منشئتهما فارق إلا اختلاف البيئة و القومية ، و من عجيب الصدف أن كليهما كذبا النظرية القائلة بأن العلم و الفلسفة تضعفان القريحة ، و تجمدانها ، و أنه كلما ازداد الانسان علماً و دراسة و تحقيقاً ضعفت قوة وجدانه ، و شعوره ، و لذلك اختلف علماء النقد في اعتبار أجود الشعر ، فقال بعضهم : « أعذب الشعر أكذبه ، و لكن الشاعر الفيلسوف الحكيم ، إقبال الذي درس الحقوق ، و اتقن الفلسفة و استوعب جميع الكتب الفلسفية اليونانية و غير اليونانية و درس التطورات الثقافية و الحياة الغربية و نشأة العلوم فيها ، و خضوع جميع مرافق الحياة للعلوم والآلة في أوروبا حيث نشأ ، و ترعرع ، و تعلم ، و علم ، و تثقف ، أبطل هذا الشاعر العظيم تلك النظرية القديمة عن الشعر ، و أثبت بكلامه ، و صدق تعبيره ، و قوة صلته بالحياة ، أن أعذب الشعر أصدق ، و أن العلم والحكمة لا يضعفان القريحة وإنما يجلبانها و ينميانها ، فصب علمه و حكمته ، في شعره ، و حلّى شعره بآرائه الحصيفة ، و نظريته الواقعية عن الحياة و الانسان .

حتى استطاع أن يضعف الأمم التي عرفت بالدخوة والشكيمة والأنفة ،
فأصبحت شعوباً رخوة ناعمة ، و أثر في الصخور والحجارة حتى أصبحت
تسيل رقة ، وفقدت صلابتها ، و استقامتها ،

إن هذا المنظر المهين الذي كان يعيش فيه الشرق في عهد إقبال كان يزيل
النوم عن عينيه ، فأنتد قصائد رائعة لاتزال تحتفظ بقوتها وتأثيرها في الشباب .
كان الشاعر إقبال شاعر الانسانية أولاً وآخراً ، ففي بداية عهده بالشعر
كان يؤمن بانسانية الانسان ، فركز شعره على حياة الانسان ، وبيئته وجيرانه ،
و الأجواء التي يعيش فيها ، ولكنه اكتشف بعد دراسته ، و نضج عقله ، أن
الانسان الذي يصوره في شعره و يقده في خياله ، هو الانسان الصناعي ،
أو إنسان علم النفس ، أما الانسان الذي يستحق أن يقده و الانسان الذي
يستحق أن يصوره هو الانسان الذي تكتمل فيه صفات الانسان ، و الانسان
الذي يستوفي الانسانية و يحمل سر خلقه ، في هذا الكون ، فلم يخلق الخالق
هذا الانسان ليضيف في خلقه شكلاً جديداً من أشكال الأنعام ، أو كائناً جديداً
يختلف عن الكائنات الأخرى بالنطق و الفهم ، فيخدم نفسه و ذويه كما تخدم
الأنعام ، و كان في اكتشاف سر هذا الوجود الانساني فضل كبير لمولانا
جلال الدين الرومي الذي كان له تأثير كبير على فكر إقبال وشاعريته الواقعية ،
و لدراسته في الغرب حيث جرب الحياة الصناعية للانسان ، فيقول في احدي
قصائده في أسرار خردى وقد بدأ قصيدة بذكر قصة أدرجها مولانا جلال الدين
الرومي في بعض مقطوعاته :

• رأيت البارحة شيخاً يدور حول المدينة ، و قد حمل مشعلاً ، كأنه
يبحث عن شئ ، قلت له ، ياسيدي تبحث عن ماذا ؟ قال مللت معاشر السباع

و الدواب ، و ضقت ذرعاً ، و خرجت أبحث عن إنسان في هذا العالم ،
لقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالى و الأقرام ،
و يخاطب الشاعر الفيلسوف إقبال هذا الانسان الكامل في قصيدة فارسية
له فيقول :

• افتح عينك أيها الزهر النائم مثل الترجس الذي لا يطبق عينه لحظة ،
و لا يعرف الكرى إليه سيلاً ، لقد أغار على وكرنا الأعداء ، و نهبوا كل
ما فيه ، من كنوز و خيرات ألا يكفي هدير الحمام و صفير الأذان ، و انين
القلوب و الأرواح أن يوقظك ، انتبه من هذا السبات العميق الذي طال أمده
و اشتدت و طأته .

اعلم أن الوطن جسد من تراب و الدين هو الروح ، و لا حياة للجسد
و النفس إلا بارتباط الجسد و الروح ، انفض أيها المسلم ، انتبه من السبات
العميق الذي طال أمده ، و اشتدت و طأته .

الغيث من الأفرنج الذين خلبوا العقول ، و سحروا النفوس ، الغيث
من هؤلاء الذين خدعوا مرة بالرقة و الدلال و مرة بالقيود والأغلال ، و تارة
مثلوا دور « شيرين » ، و طوراً لعبوا دور « أبرويز » ، لقد أصبح العالم كله
خراباً يباباً باغارتهم و غزوهم ،

لقد أساء الذين لم يفهموا طبيعة الشاعر إقبال في ظنهم أنه شاعر فيلسوف
و أن كلامه يتركز على حياة المسلمين و أنه متطرف في ذلك ، لا شك أنه
في المرحلة الأخيرة أخضع شاعريته القوية و قوته الأدبية و عبقرية الفطنة
لتبليغ رسالة الاسلام ، لأنه وجد إنسانه المنشود متجسداً في الاسلام و متمثلاً
في تعاليمه ، و كان يعتقد أن غياب هذا الانسان عن مسرح الحياة و احتلال

الانسان الآلى و الصناعى الذى أنجبه الثقافة الغربية خسارة عظيمة للانسانية
وأنحراف كبير عن سر وجوده ، فانه تعلم أن يطير فى الأجواء كالطيور ، وأن
يسبح فى الماء كالسمك ، وأن يتغذى كالأنعام ، وأن يقاتل ويحارب لأغراضه ،
كالسباع و الوحوش ، و لكن أين ذلك الانسان الذى خلقه الله ليكون خليفة
له على الأرض .

و تصور مآسى الحضارة الغربية فى قصيدة الربيع فيقول :

« لقد تغير العصر و أوضاعه ، و تكشفت أسرار أوروبا ، و ما كانت
تضمه ، و تبيته للشرق حتى أصبح فلاسفتها و دهاتها و زعمائها فى حيرة
من أمرهم ، لقد أفست السياسة الأوربية ، و أخفقت أساليبها القديمة و أصبح
العالم يبغض الامارة و الملوكية ، و ثار المجتمع على الأفراد و السلاطين لقد
انتهى دور الرأسمالية و الثراء الفاحش ، و انتهت هذه المسرحية التى مثلها الملوك
وأبطال ألف ليلة وليلة ، لقد نخطت اليقظة العالمية إلى شعوب معروفة بالكسل ،
و السبات العميق ، و تدفقت عيون جبال همالايا ، و تهبأت جبال سينا ،
و فاران لاشراق جديد »

و يمقت الشاعر حياة الكسل و التعاسة التى وصل إليها الشرق فيقول :
« إن الرزق الذى يفقد الأبى الكريم كرامته ، و يرزاه فى حرته و شرفه سم
زعاف ، إن القوت المقبول ، هو الذى يظل معه الرجل موفور الكرامة ،
مرفوع الهامة ازحد فى أبهة السلاطين ، و اعرف نفسك و احتفظ بقيمتها
و كرامتها ، وأن السجدة التى هى جديرة بالاهتمام هى السجدة التى تحرم عليك
كل سجدة لغير الله »

إن هذا العرض الوجيز لبعض أفكار الشاعر إقبال يوصل الدارس إلى
أفق جديد للانسانية ، و يكشف أبعاداً جديدة لحياة الانسان ، فانه فضح فى

قصائده الرائعة التى أنشدها لتبين أسرار الذات ، و شرف الانسان و هبوطه
إلى الحضيض لأنه نسى رسالته ، و ابتعد عن نقطة إنسانيته الحقيقية ، و فضح
مكايد أعداء الانسانية الذين يرددون كلمة الانسانية والانسان لاستغلال الانسان
و لتضليله .

إن الشاعر إقبال هو الصديق الحقيقى للانسان ، إنه لا يحذر الانسان
كما يفعله الشعراء الآخرون بتفضيله ، و ذكر صفاته ، و محامده ، وإنما يهيجه
ليحتل مكانته الأصيلة فى الحياة ، ويتصف بالمثل العليا ، ويتولى منصب القيادة ،
و بنال الشرف الذى ميزه الله تعالى به على سائر مخلوقاته ، و يحذره عن صيرورته
آلة جامدة صماء .

و يخشى الشاعر إقبال أن الانسان الحقيقى أو الانسان الكامل إذا كان
بعيداً عن تولى دوره القيادى فان الانسانيه ستبه وتضل فى ترهات الحياة وتصل
إلى نقطة الانهيار الكامل ، ففى مصلحة الانسانية أن يستيقظ الانسان الحقيقى
و يتولى دوره فى الحياة لياتى مجتمع إنسانى صميم إلى حيز الوجود حيث يكون
كل فرد من أفراد المجتمع نموذجاً للانسانية الخالصة ، و صورة للعدالة والاخاء
والحب ، و الحرية عن عبودية الانسان (١) .



(١) مع الشكر للاذاعة العربية دلهى .

رجل فقدناه !

إلى ربك يا سماحة المفتي أمين الحسيني

رجعت النفس المطمئنة الهادئة التي حملها سماحة المفتي أمين الحسيني إلى ربها ، وسكت صوت الحق والايمان الذي دوى في الآفاق إلى مدة تمتد من عشرينات هذا القرن إلى سبعيناته ، وانطلقت شعلة الثورة والجهاد التي عاشت في جسم سماحة المفتي النحيل ، و التي أفضت مضاجع الاستعمار ، وتركته على مثل جمر لا يقر له قرار .

إن هذه الحياة التي بدأت في عام ١٩٢١م باختياره مفتياً للقدس وانتهت في عام ١٩٧٤م ظلت طوال هذه المدة دائمة في جهاد و كفاح عظيمين ، ولم تنقطع لدقيقة واحدة عن العمل الدؤب المخلص ، و النشاط الجاد ، و الخدمة البناءة في سبيل الأمة الإسلامية ، و النهوض بالمسلمين و خدمة قضاياهم في كل مكان ، و السهر على قضية فلسطين المرزوحة تحت نير الاستعمار .

حياته حافل بجلائل الأعمال ، و منذ أن بدأ هذا التاريخ لم يفتر للحظة واحدة و لا عرف الخمول و الامعيا ، بل ما زال يتوسع و ينمو ، و يزدهر بألوان من الجهاد المضني ، و أنواع من الخدمات و المنجزات و المشاريع ، و قد توقف هذا التاريخ بوفاته ، و انطوى بساطه بعد ما سجل صفحة مشرقة للطولة الرائعة التي تمثلت في حياة سماحة المفتي الراحل ، و الشجاعة النادرة التي اتسمت بها حياته كلها .

تبنى سماحة المفتي قضية فلسطين و اعتبرها قضية الشخصية ، فوقف لها جل حياته بجميع ما كان يملك من إمكانيات و وسائل ، و لم يأل جهداً في

الحفاظ على بيت المقدس و صونه من براثن اليهود ، و عندما متى المسلمون بسقوط القدس و استيلاء اليهود عليها في عام ١٩٦٧م أصيب بصدمة عنيفة أدت إلى نوبة قلبية و لسكن الله سلم و أكرمه بالعافية و الصحة .

ومنذ انتخابه رئيساً مدى الحياة للجانس الاسلامي الأعلى لفلسطين عام ١٩٢٢م تابع جهاده الخالص لاسترداد فلسطين ، وإرجاع اللاجئين إلى بيوتهم ، وبذل في سبيل ذلك كل ما أمكنه من جهود و استصرخ ضمير العالم للحدب على هذه القضية التي شغلت بال العالم الاسلامي كله ، و عكرت صفو الحياة ، و قد قام بجولات و لقاءات و مفاوضات من أجل هذه القضية ، و عانى من مشاق السجن و النقي بوجه باسم ، ففي عام ١٩٣٠م زار لندن على رأس وفد مكون من عدة أعضاء و تفاوض هناك مع رجال الحكومة البريطانية حول قضية فلسطين ، ولم يتوقف جهاده وهو في المنفى خارج فلسطين بل كان يتصل بالمجاهدين الثوار و يضع لهم مخططات الجهاد و الثورة من غير أن يبالي في ذلك بخاطر أو حظر .

تمتع المفتي أمين الحسيني بثقة الجميع في كل مكان و زمان ، فاستطاع أن يقود العالم العربي الاسلامي في جميع القضايا و المشكلات التي واجهها ، و لم ين في يوم من الأيام من أداء المسؤوليات التي عادت إليه بصفة زعيماً إسلامياً وعالماً مجاهداً ، و لا داخله يأس أو عجز في أي لحظة ، إنما كان دائم النشاط و الحيوية و كان يعتبر نفسه جندياً في ساحة القتال لا يستبغ راحة و لا لذة ما لم يؤد واجب الجندية ، و هو في أي لحظة من حياته لم يهتم بترويح نفسه و ترفيه حاله ، بل القضايا الاسلامية و مشكلات المسلمين لم تتركه ليعيش في هناء و هدوء بينما توافرت له وسائل اللذة و التمتع من كل جهة و كانت المناصب الجليلة و كراسي الحكم تفرع بابه بصفة مستمرة .

أقبلت إليه الاغرامات أشكالاً و ألواناً ، و لسكنه رفضها دائماً بغاية من الازدراء ، و آثر حياة الجد و الجهاد لغرض شريف على حياة الجاه و الثراء .

و ما قضى وقتاً من حياته في غير اهتمام بقضايا و مشكلات العالم الاسلامي ، و ما يمر به المسلمون و العرب في كل مكان من ظروف خاصة و أوضاع عجيبة ، ففي عام ١٩٣١ وجه دعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي في القدس يبحث في قضايا و مشكلات العالم الاسلامي ، و حضره ممثلون عن ٢٨ بلداً إسلامياً اختير سماحته رئيساً للمؤتمر الاسلامي هذا .

في عام ١٩٣٦م أسس اللجنة العربية العليا لفلسطين و ترأسها ، و قام بتصعيد الجهاد في فلسطين ، و أشرف على المجاهدين بالتخطيط و التمويل ، و قد عرضت له في ذلك مشكلات و عراقيل تكاد تقضى على حركة المقاومة و الجهاد ولكنه لم يخضع أمام الظروف و لا ترك قيادة الثورة ضد البريطانيين ، الذين رصدوا مبلغ ٢٥ ألف جنيه لمن يساعد على اعتقاله .

و هكذا عاش سماحة المفتي السيد أمين الحسيني حياة ملؤها جهود و جهاد ، و كفاح و عمل ، و نذر نفسه لخدمة كل غرض شريف ، و حذب على مصالح الأمة الاسلامية ، و اهتمام بقضايا المسلمين و حل مشكلاتهم ، و ما ذاق في حياته الطويلة لذة العيش الناعم ، و طعم الهدوء النفسي ، و راحة القلب .

إنه تاريخ حافل بجلائل الأعمال ، و التضحيات ، و المغامرات ، و بالثبات في سبيل المبدء و العقيدة و الضمير ، الرجل الذي جمع بين العلم و الجهاد ، و بين المصحف و السيف ، و بين النعومة في الأخلاق و السيرة و المعاملات و الصلابة في الدين و الورع و العبادات ، نموذج رائع للعالم المؤمن ، و مثال نادر للقائد المسلم .

شارك سماحته في كثير من المؤتمرات الاسلامية و اختير عضواً لها ،

فكان مرهف الحس و الشعور بأداء المسؤولية التي كانت تعود إليه من قبول عضوية هذه المؤتمرات و كان يرى لزاماً عليه أن يخدم مصالح المسلمين بكل ما استطاع من امكانيات و وسائل ، و لم يرض قط بأى مسالمة أو مساومة في القضايا التي كانت تخصه ، و لا سيما قضية فلسطين ، التي واجه فيها مراراً و مساومات كثيرة ، و وعد بكل ما يرغب فيه من جاه و منصب و مال ، ولكنه رفض كل عرض بكل قوة و في غاية من الاحتقار ، و زاد إلى فضائله التي كان يتجلى بها كلما مر بمحنة في ضميره و عقيدته و مبدئه .

تابع سياسة الدول الكبرى في قضايا العالم الاسلامي بغاية من الامعان و الاتقان و نافع عن المقدسات الاسلامية و دافع عن الوطن الاسلامي دفاعاً مجيداً ، و لم يسمح لأي قوة أو دولة أن تتدخل في سياسة العالم الاسلامي و العربي ، و تتولى مصير الأمة الاسلامية و العربية في أي مرحلة من مراحل التاريخ .

مضى سماحة المفتي السيد أمين الحسيني إلى ربه في وقت كان العالم الاسلامي كله بأشد حاجة إلى مناصرته و توجيهاته .

مضى الرجل الصالح العظيم ، صاحب السيرة العالية و السلوك المستقيم .

مضى البطل المغوار ، الأبى الغيور ، مضى الزعيم الملم المجمع عليه .

مضى مفتي فلسطين الكبير ، و مضى معه الجراءة و الشجاعة و الصدق

بالحق ، و الجهر بالصدق ، و أخلاق المؤمن المجاهد .

سلام على روحك الطاهرة ، و قلبك الكبير ، و رحمة الله عليك بكرة

وعشياً ، و كل حين و آن .



[بقية الافتتاحية المنشورة على ص ٨]

و نظرة واحدة إلى المغتربين و المبعوثين - باستثناء ثلثة من المؤمنين -
تكفي برهاناً على صدق ما نقول !

إن تطوير الحياة ، و تقدم البلاد ، و تحسين المعيشة ، و رفع مستوى
الحياة ، و تضخم الدخل و الأيراد ، و مجارة الغرب في الأسواق و المعارض ،
و العمارات ، و الآلات و الماكينات ، ليست غاية بذاتها ، إن هذه الخيرات
التي يسيل عليها لعاب الشرق ، و إن هذه الحياة اللامعة البراقة التي تعجب أبناءنا
الغرب في الغرب ، و تستهوي قلوبهم و عواطفهم ، أصبحت اليوم سلاسل و أغلالاً
في قدمه ، و طوقاً ثقيلاً في عنقه ، و ما حوادث الانتحار و الجنون ، و التوتر
العصبي ، و القلق النفس العام ، و الفجور العلى الشائع ، و حركات الحيوانية
و الشذوذ ، و التفنن في إرواء غلصة الجسد و خواء الروح بحركات مضحكة
و مهازل مبكية ، إلا مظاهر يأسه و إخفاقه في مضمار الحياة و وقوعه عن قيادة
الانسانية ، و عجزه عن الحصول على المسرة الحقيقية ، و الأمن العاطفي ، و الشعور
بالخطيئة و الاثم الذي خالط لحمه و دمه ، و إن لم يعترف به لاستكباره ،
و قوته ، و عساكره و جنوده ، إنه يعرف في قرارة نفسه - و إن لم يعترف
به - أنه أضعف من النمل ، و أحقر من الذباب ، و أخس من الكلاب ،
و أذل من الديدان و الحشرات ، و لسكنه لا يجد السبيل و لا يعرف طريق الخلاص .

• و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

إنه نتيجة الاستغناء عن نور النبوة ، و هداية السماء ، إنه نتيجة الحقد
الذي يغلي به صدور الصليبيين الجدد في الغرب على سيدنا محمد ﷺ و نبوته الأخيرة
الخالدة و على كتاب الله المقدس الأخير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
و لا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

إن المسيحية و الصليبية لا تزالان تشكلان خطراً على الاسلام و المسلمين ،
و تضمران الحقد لهما ، و تدبران المكر عليهما ، و هما صورتان لحقيقة واحدة ،

حقيقة الكبر و الحقد ، و التمويه و التضليل و الفساد في الأرض ، و جناحان
لمعسكر واحد ، معسكر الكفر و الضلال ، أو بتعبير أدق و أفصح معسكر المسيح ، الدجال .

فما لنا نحن المسلمين في الشرق نرخص على نعمات هذه الصليبية الخاقدة ،
و نتجاوب مع أصدائها ، و نسيح بحمدها ، و نتفانى في حبها ، و لا تمنعنا الذلة
و الاهانة التي لقيناها من معسكر أو كتلة أن نجرب حظنا في معسكر آخر أو كتلة
أخرى ، و نستبدل بعد كل عشر سنوات أو عشرين سنة سيداً قديماً بسيد جديد ،
و استعماراً قديماً باستعمار جديد ، و العبيد لا تغيير فيهم و لا تبديل (١) .
و أرض السكناه أرض الاسلام و الايمان تندب حظها التكد على يد

(١) و قد تبلغ العبودية و الخنوع و الرضوخ للاستسلام و الاركل بالأقدام بعض
الحاقدين ، و الفاقدين الغيرة و الحياء - و إنه بورقية - أن يتحدث الشعب التونسي
المؤمن الغيور في غيرته و عقيدته و حرمة و مقدساته و يعلن باستهتاره و كفره
جهاراً ، فيتهم كتاب الله بالتناقض ، و المعجزات النبوية بالخرافة ، و استلام
الحجر الأسود بالشرك ، و يتهم النبي ﷺ بقبول طقوس المشركين و نقل
الخرافات إلى القرآن و نحو ذلك .

و المحل ليس محل البحث و الدراسة ، فالرجل أهد من العلم بمثل ما هو
أقرب إلى الخمر وهو لا يعرف كتاب الله و لا يعرف منى التناقض ، و إنما
دفعه الحقد و العبودية - التي تعودت عليها بعض النفوس - أن يتجسس
نبض شعبه و يمتحن غيرته و تماسكه ، فإذا رأى منه ما يشجع ، تقدم فيما أراد ،
و زاد و استزاد ، و إذا رأى ما يكره انكش و انحنس ، و عاد إلى حجره
يتربص بالمؤمنين الدوائر ، و هو لا يخدم في ذلك إلا أسياده و يرضى
نذاته ، و كل إناء يترشح بما فيه ، و هذا ليس جديداً منه أو بدعاً ، فهذا
دأبه و ديدنه منذ زمان ، عرف به بين الأقران .

و الأمر الآن إلى الشعب التونسي الشقيق ، فلننظر بماذا يرد على هذا
التحدى و الاستفزاز و الاثارة و الاهانة ؟

ولا أنسى ذلك الحفل الزاهر المشرق الذي تحدث فيه سماحة المفتي وقد طلع عليه بطلته البهية الوقور ، التي يلتقي فيها الجمال الصوري بالجمال المعنوي ، والوسامة الظاهرة بالوقار والرزانة ، والتواضع ، وأخلاق العلماء بالأناقة ، وحسن الهندام ، فكأنه ملك نزل من السماء ، أو ملك من الملوك المسلمين القدامى عاش من جديد ، وأكبر الظن أنه كان في العقد الرابع من عمره ، ولا يزال أذكر إنشاده للبيت العربي المعروف ، وهو يذكر زيارته لهذه الدار ، وأنه قد سمع عنها كثيراً ، وقرأ عنها كثيراً .

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

و أول البيتين :

كانت محادثة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر

ثم طالت الفترة في اللقاء حتى لقيته بعد ثمان عشرة سنة في القاهرة ، وهو لا يزال يذكر هذه الزيارة بتفاصيلها ، و تتابعت اللقاءات في حفلات عامة ، و مجالس خاصة ، ثم حدثت فترة أخرى ، هي أقصر من الأولى ، فالتقينا به على صعيد رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ، والمجالس الاستشاري الأعلى للجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، وتشرفت بالزمانة على تفاوت في السن ، و فرق كبير في التجارب والحصافة وحسن البلا ، والعمل الاسلامي ، ولكنه كان دائماً يملأ هذه الفجوة الواسعة بين زميلين ، كأنهما من جيلين مختلفين بأخلاقه العالية ، و كان يغمرنى بعطفه الأبوي ، وحنانه الأخوي ، و قلبه الكبير ، و عقله المستنير ، و كان لا يجعلني أشعر بمحداثة السن ، و ضآلة الشخصية ، و فلة البضاعة في ميدان الكفاح ، والعمل الاسلامي ، وكان له دائماً الفضل والسبق في التحية و اللقاء ، و الترحيب و الاحتفاء ، وكان في ذلك على قدم السلف الصالحين ، و السادة الهاشميين ، و الشئ من معدنه لا يستغرب .

لقد ختم بوفاته كتاب في الجهاد ، والاخلاص للعقيدة والفكرة ، والوفاء للبدأ و الغاية ، يحتوي على قصة طويلة ، وروائع من الكفاح ، و البطولة و المغامرة ، و الايمان الصادق ، و النزاهة التي لا ترتقى إليها شبهة ، والحياة التي لا مغمز فيها ، تدور حول بطل واحد و هو الحاج السيد أمين الحسيني ، وانتهى به عهد ، يمتد على أكثر من ستين سنة ، لم يهدأ له فيه بال ، ولم يقر له قرار ، ولم يضع فيه السلاح ، ولم ينسحب فيه عن ميدان الكفاح ، ولا أعرف أحداً من بين زعماء المسلمين و العرب ارتبط بقضايا الوطن الاسلامي الكبير ، و هب لها من نفسه و عقله مثل ما ارتبط بها الراحل العظيم ، و وهب لها مما أكرمه الله به من مواهب و طاقات ، وكان كدوامه لاستتقر ، ولا تنقطع عن الحركة من بين الرباط إلى جاكارتا ، و من ضفاف دجلة إلى نهر كابل و نهر السند .

و قد شعرت حين بلغني نعيه كأنني فقدت أحد أفراد أسرتي الكبار ، و ركناً من أركانها ، الذين تعزز بهم هذه الأسرة ، وشعرت بأنها حادثة عائلية شخصية ، فكان دائماً يعطف على عطف الآباء على الأبناء ، أو عطف الاخوة الكبار على الاخوة الصغار ، وقد كان في صف أسانذتنا وشيوخنا ، وزملائهم ، و أتربهم ، و قد سمعت به وأنا في ريعان الشباب وأيام الطلب ، كأنني أسمع عن شخصيات الجيل الماضي ، أو كأنني أنظر إلى نجم متساق في الأفق البعيد ، حتى جمعتني الله به على غير ميعاد في مدينة لكتنو في ندوة العلماء ، حين زار الهند مع زميله الكبير الأستاذ محمد علي علوبه باشا سنة ١٩٣٣ م ، في جولة دعائية للجامعة الاسلامية التي كان قد أراد إنشائها في القدس ، وكانت زيارته للكهنو ضمن هذه الجولة فكأنه حلم تحقق ، و دعوانه إلى دارالعلوم لندوة العلماء ، وكان يعرفها عن طريق الكتب والصحف ، و عن طريق صديقه أستاذنا العلامة السيد سليمان الندوي ، و لبي هذه الدعوة و رحب بها ، كأنه كان ينتظرها ويتوقها .

خطر القاديانية على العالم الاسلامي



لقد آن الاوان للقضاء على هذه الفئة الباغية المارقة عن الدين الشارحة على النبوة المحمدية المتأمرة على العالم الاسلامي كله القاديانية أو الاحمدية - كما يسمونها تضليلاً للناس - وإن الاحداث الاخيرة التي وقعت في باكستان في صورة اشتباكات و اضطرابات بين المسلمين و القاديانيين كشفت القناع عن تلك المؤامرات الخبيثة التي تديرها القاديانية ضد الاسلام و المسلمين .

وأقل ما يقال عن القاديانية إنها سرطان العالم الاسلامي الذي امتدت جذوره في مختلف البلاد الافريقية و الآسيوية و الأوربية حتى إنها استولت على مراكز حساسة جداً في الجهازين العسكري والمدني في باكستان ، وانشأت امارات مستقلة في « ربوه » عاصمتها في باكستان أحيطت بسرية تامة ، فقيها جنود وضباط ، و مخبرات و مختلف أجهزة الدولة فأصبحت حكومة داخل حكومة ، وشكلت هذه الامارة خطراً عظيماً لباكستان كدولة مسلمة ، وكان لهذه الاحداث فضل في إثارة هذه القضية الخطيرة ، وقد ساعد في كشف هذه المؤامرة ذلك القرار التاريخي الذي اتخذته رابطة العالم الاسلامي و مؤتمر المظلمات الاسلامية في مكة أعلنت فيه بكفر هذه الطائفة فكان له صدى عمق واسع في شدة القارة الهندية لما تتمتع به الرابطة من شعبية ومكانة محترمة في نفوس المسلمين .

إن باكستان على خطر إذا هي تدهانت في هذا الأمر ، وعليها أن تفلح هذه الجرثومة الخبيثة التي اقامت ديانة جديدة إزاء ديانة الاسلام ، ونبوة جديدة مقابل نبوة محمد عليه الصلاة و السلام ، و عرفت بخدمة الاستعمار و التراف إلىه ، و تظاهرت بأن القاديانية من المسلمين يدعون إلى الله و يهتمون بالتبليغ و نشر الدعوة في الأجانب ، و الله يشهد إنهم أكاذبون ، ونحن نذنب المسؤولين أن لا تأخذهم بها رافة في دين الله ، و أن لا يستصغروا هذا الشرر الكامن ، و يجتثوا هذه الشجرة الخبيثة في باكستان حتى لا تقوم لها قائمة فيما بعد ، و نرجو إنهم لفاعلون ، و الله معكم و لن يترككم أعمالكم . « التحرير »

البعث الاسلامي رحمة الله عليك يا أباصلاح الدين يا مجاهد فلسطين !!

رحمة الله عليك يا أباصلاح الدين ! ويا مجاهد فلسطين ، رحمة الأبرار الصالحين ، الأوفياء الصادقين ، والمجاهدين المستميتين ، و صدق الله العظيم :
« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً »

فقد فارقت هذه الحياة ، وفي نفس يعقوب حاجة ما قضاها ، و أمنية لم يقر عينه بتحققها ، بل انتقلت إلى جوار ربك مفجوعاً بما رأيت في آخر أيام حياتك ، من تواني العرب في قضيتهم التي هي قضية الحياة والشرف ، والعقيدة والكرامة ، و ذهبت إلى ربك جريح الفؤاد ، حزين القلب ، محطم الأعصاب غير راضي النفس ، ولا قدير العين ، بما اتفق عليه قومك من وضع السلاح ، و الاكتفاء من الغنيمة بالاياب ، و ترك المسجد الأقصى و القدس الشريف على ما كانا عليه ، و أنت الآن في كنف رحمة ربك تثاب على عملك و جهارك ، و لا تسأل عن عمل غيرك .

سعادة الشيخ أنس يوسف ياسين في ذمة الله

● تلقت أسرة ندوة العلماء نبأ وفاة معالي الشيخ أنس يوسف ياسين سفير المملكة العربية السعودية في الهند سابقاً في حادث انقلاب سيارة توفى فيه معالي السفير ووالدته الكريمة وذلك في شهر يوليو، و عقدت جمعية اتحاد الطلبة حفلة تابين للفقيد، فور وصول هذا النبأ الحزين، فقد كان لمعالي السفير المغفور له صلوات قريبة و متينة بندوة العلماء في لكهنؤ، وهو الذي وضع حجر أساس ابناء المعهد الثانوي الكبير في احتفال رائع ، وكان وثيق الصلة كثير الحب بأبنائها و المشرفين عليها ، جزاه الله عن المسلمين كل خير و أجزل مشوبته و أغدق عليه شآبيب رحمته و غفرانه ، و إنا لله و إنا إليه راجعون .